نجيب محفوظ

حول العلم والعمل

أعده للنشر
فتحى العشرى

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

حول العلم والعمل

الناشـــر : الـدار المصريـة اللبنانيـة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٨٩٦٠/ ٩٦
الترقيم الدولى : 8 - 287 - 270 - 977
جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : جمادى الأول ١٤١٧ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٦ م

نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل ، هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل .. الشخصية ، الحياة اليومية، المسكن والملبس ، المأكولات والمشروبات ، نوع السجائر ، النظارات والساعات ، الأوراق والأقلام ، الأطباء والأدوية ، الزملاء والأصدقاء ، المقاهى والكازينوهات ، السير فى الصباح والمساء ، القاهرة والإسكندرية ..

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت ، وأشياء أخرى ظهرت أو أضيفت فى حياة نجيب محفوظ .. ولكن هل هى طارئة أو عابرة نتيجة لجائزة نوبل ؟ وإلى متى ؟ .

لقد اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية ، فيما عدا الصحف والمجلات ، كما اختفت أو كادت عادة الكتابة اليومية ، فيما عدا « وجهة نظر » الأسبوعية التى تنشر صباح كل خميس بجريدة الأهرام ..

وظهرت بكثافة أضواء وكاميرات السينما

والتليفزيون ، ومسجلات الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء ، كما زادت اللقاءات والمقابلات والأحاديث والتصريحات ، وأضيفت مسئولية الرد على الرسائل والبرقيات والتلكسات ، سواء كانت تهانئ أو عقودًا أو دعوات ، وكذلك التوقيع على صورته الفوتوغرافية ، أو صور الراغبين الشخصية ، أو البطاقات المرسلة .

وكثيرًا ما حدث ويحدث وضع عُملة ورقية من فئة الدولار أو الإسترليني فى المظروفات مصحوبة بطلب التوقيع كمصروفات بريد ، فيوقع عليها نجيب محفوظ ويعيدها إلى طالب التوقيع .

ولهذا يقول نجيب محفوظ : « لقد أصبحت موظفاً عند نوبل » أو جائزة نوبل ، أومؤسسة نوبل .

ولم تكن كل التوقعات تنتظر كل هذا الكم الهائل من الاهتمام العالمى على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، منذ إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨ .

إن ما حدث قد فاق كل التوقعات التى لم تعد تقدر على تحديد وقت انتهاء أو انخفاض هذه الموجة الجارفة من الاهتمام ، هل هو قبل أو مع إعلان اسم الفائز الجديد ؟! . . أم ترى يستمر هذا الاهتمام حتى

بعد إعلان اسم الفائز الجديد ؟! وبالتالى هل تختفى العادات الطارئة ؟! أم أنها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من عادات نجيب محفوظ الأصيلة ؟! وهل يعود نجيب محفوظ إلى القراءة والكتابة بالقدر نفسه كما كان ذلك قبل حصوله على جائزة نوبل ؟!

أسئلة لايمكن الإجابة عنها .

أما أسرة نجيب محفوظ الصغيرة : زوجته وابنتاه ، فيمكن التأكيد على أنها « أسرة ضد الأضواء »، وعلى أن واحدة منهن لم تتغير شخصيتها وعاداتها ، برغم تدفق الموجات الرسمية والإعلامية الأولى على البيت الصغير المطل على النيل ، ربما بفضل مبادرة « الأهرام» بنقل مركز الثقل إلى « قاعة توفيق الحكيم » التى تحمل رقم ٦٠٦ ببرج الأهرام ـ الدور السادس ، والتى لم تفتح بعد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ ، الذى أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنبة الطويلة فى مواجهة مكتب الحكيم .

أما الاهتمام الذى فاق كل التوقعات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائزة نوبل العالمية بعد ٨٨ عاماً من بداية منح الجائزة سنوياً، فقد بدأت عام ١٩٠١ ، فيما عدا

السنوات التى لم تمنح فيها الجائزة نتيجة لاندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبعد ٨٤ أديباً فازوا بها كاملة أو مناصفة . . هذا فضلاً عن أنه أول أديب عربى يفوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقى سُوينكا ، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة .

كذلك فإن عربياً واحدًا لم يفز قبل نجيب محفوظ بأىٍّ من جوائز نوبل العالمية الأدبية والعلمية ، فيما عدا نصف جائزة السلام التى فاز بها الرئيس أنور السادات .

وأخيرًا فإن نجيب محفوظ قد فاز وحده بجائزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعة التى كانت مرشحة معه ، و المنافسة التى اشتدت فى التصفية النهائية .

ولا بد من ذكر سبب جوهرى يتمثل فى أن نجيب محفوظ لايختلف حوله اثنان فى الداخل والخارج من ناحية ، وأنه الأجدر من ناحية أخرى ، خاصة فى عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى ، وإلا أصبح الوضع غاية فى الحرج لمؤسسة نوبل ، ولنجيب محفوظ نفسه ، وللجميع أيضاً .

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد ، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها ، فمنذ إعلان نبأ الفوز و هو يرحب بكل أجهزة الإعلام ، فلم يختف عن الأنظار ، ولم يردّ أحدًا ، ولم يملّ الأحاديث ، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية ، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره ، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى «ستوكهولم» لتسلم الجائزة ، وتلبية الدعوات خارج مصر . .

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه ، وكانت أعماله تنشر خارج مصر فى أكثر من بلد عربى ، فى حين أنه على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفاً إلا فى الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات ، وأهمها : الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والأسبانية ، والألمانية ، والروسية ، والصينية ، والسويدية .

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير ، وارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو بمعظم لغات العالم ، ولم تعد تُطبع وتُنشر فى مصر وحدها ، بل فى لبنان ، والعراق وسوريا والأردن ،

والجزائر وتونس ، والمغرب ، وفى مناطق كثيرة من العالم ، مضافة إلى الدول التى ذكرناها من قبل .

وكما عرفت أعمال نجيب محفوظ طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون فى الوطن العربى قبل فوزه بجائزة نوبل ، بدأت تزحف بعد فوزه بجائزة نوبل إلى إذاعات وتليفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله فى السينما العالمية ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة .

وبعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، بدأت دور النشر العربية فى تقديم بعض أعماله بشكل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال .

ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن دور النشر العربية والعالمية قد فكرت فى نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة .

ووقعت الواقعة . .

صحيح أن جائزة نوبل العالمية فى الآداب لم تكن وساماً على صدر الكاتب المصرى الكبير نجيب محفوظ فحسب ، ولكنها كانت وسامًا على صدر مصر والوطن العربى كله . . وصحيح أيضاً أن طعنة السكين الغادرة قد انغرست فى عُنق الكاتب الكبير كما

انغرست فى عُنق كل مواطن صالح على أرض الكنانة، وكل إنسان شريف فى العالم أجمع . وإنْ كانت الجائزة قد حققت كل أهدافها فى رفع راية العروبة واسم مصر، فإن الطعنة لم تحقق أى هدف ، فقد نَجَّى الله الرجل وأنعم عليه بالشفاء، وأكرمه بمواصلة العطاء ، وطمأن قلوب أهله وأصدقائه ومحبيه ومواطنيه والمدافعين عن حق الحياة وحق الرأى ، المناضلين ضد التطرف والإرهاب .

لقد تحولت الطعنة الغادرة إلى جائزة أكبر ، ووسام أرفع ، وصفحة ناصعة ، ليس فى تاريخ الرجل وحده، بل فى تاريخ الأمة أيضًا ، بعد أن حاولت الأيدى القذرة تحويل التكريم المشرف إلى تجريم آثم ، وقلب الإشادة الكريمة إلى إدانة دنسة ، وتغيير الأمان الهادئ إلى غدر هادر ، واستبدال الحرية المطلقة بالحركة المقيدة ، ولكن إرادة الله كانت أقوَى ، وسيف العدل كان أمْضَى ، وشجاعة الرجل كانت أصلب ، وحب الناس كان أرحم ، هذا الحب الذى كسر السكين وقبض على اليد المخضبة بالدماء ، وتضرع إلى الله العلى القدير أن يلطف بشيخوخة الرجل الطيب وبجسده النحيل ، حتى تظل يده ممدودة لمصافحة الجميع ، وهامته مرفوعة فى ظل الجميع .

وهذه المجموعة من الكتب هى باكورة منشورات الدار المصرية اللبنانية الخاصة بإنتاج نجيب محفوظ من المقالات ، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ محمد رشاد بالفكرة ، وأقبل على تنفيذ المشروع بترحيب من نجيب محفوظ .. وهى مقالات كتبها نجيب محفوظ قبل حصوله على جائزة نوبل - من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٧ - على أمل نشر مقالاته السابقة على تلك الحقبة، ومنذ الأربعينيات وحتى الآن !

هكذا فكرت ونقبت واخترت وأعددت هذه المقالات فى ثلاثة كتب أولاً ، هى : « الدين والديمقراطية » ، و « الشباب والحرية » ، و « الثقافة والتعليم » ، لتكون البداية ، بعد أن أضاف نجيب محفوظ إلى كل منها كلمة « حول » ، تعبيراً عن تواضعه المعهود .

وهكذا تحققت تلك الفكرة ، وظهرت تلك المقالات إلى النور ..

وهذه المجموعة الجديدة من الكتب التى تضم وجهة نظر كاتبنا الكبير نجيب محفوظ تبدأ قبيل حصوله على جائزة نوبل فى أكتوبر عام ١٩٨٨، وتنتهى مع الطعنة الغادرة فى أكتوبر ١٩٩٤

. . وتتكون من خمسة كتب ، هى : « حول التدين والتطرف » ، و « حول العدل والعدالة»، و « حول التحرر والتقدم »، و « حول العلم والعمل » ، و«حول العرب والعروبة ». .

إنها بحق حوليات نجيب محفوظ التى نرجو ونأمل أن تستمر فى الصدور حتى تستوعب كل ماكتبه الكاتب الكبير من وجهات نظر وآراء مختلفة ، بعد أن ظلت كتبه مقصورة على إنتاجه الروائى والقصصى والمسرحى، دون مقالاته ذات المستوى الرفيع الذى لا يقل بأى حال عن مستوى أعماله الإبداعية الشهيرة . . عندئذ يحق لنا أن نتوجه بالشكر والتقدير لناشرنا المثقف محمد رشاد الذى تحمس لهذا المشروع القومى الكبير ، كما توجهنا إليه بالشكر والتقدير عند بداية تنفيذ هذا المشروع .

والثقة كل الثقة ، فى أن تحظى هذه الكتب بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفوظ الروائية والقصصية والمسرحية . . والثقة كل الثقة ، فى أن تترجم هى أيضاً إلى معظم لغات العالم ، بل كل لغات العالم . . والله هو الموفق دائماً !

فتحى العشرى

لماذا الدعم ؟ .. لماذا مجانية التعليم ؟

لم أدرك الحكمة وراء طرح الدعم ومجانية التعليم للمناقشة العامة ، فهما على وجه اليقين لا يتحملان وحدهما مسئولية العجز الحاصل بالميزانية ، كما أن ترشيدهما لا يعنى سد الثغرة المطلوب سدادها ، فلماذا الدعم ؟ ولماذا مجانية التعليم ؟

إن المواطن العادى تداعبه آمال يحسن التذكير بها . إنه يأمل أن تكون الدولة قد ضغطت مصروفاتها الجارية ضغطاً ينفى عنها أى مؤاخذة . ويأمل أن تكون قد رسمت الخطة لتحصيل أموالها لآخر مليم ، ومحاصرة المتهربين بحيث لا يفلت واحد منهم .

بعد ذلك يطرح العجز فى مواجهة جميع بنود المصروفات من دعم ، ومجانية تعليم ، وخدمات صحية ، ومواصلات ، وأمن عام ، ودفاع ، واستشارات إلخ إلخ . . وتجرى المناقشة لا على أساس المبادىء ، إذ أننا نسلم بالمكاسب الشعبية الثورية باعتبارها حقوقاً لا يمكن الرجوع عنها ، ولكن لمواجهة هذا السؤال : كيف نوزع العجز على هذه الأبواب الثابتة من المصروفات ؟ كيف نجد حلاً مؤقتاً لضرورة طارئة وأزمة خانقة ؟

قد يقع عبء التضحية على بابٍ أكثر من غيره ، بل قد يُعْفَى بابٌ إعفاءً تامًّا لضرورة لا مفر منها ، ولكن يجب أن يتم ذلك كله بعيدًا عن

التأثر بأى اعتبار سوى العدالة الكاملة والمصلحة العامة . ويجب أن يتم ذلك فى النور ، وباشتراك الشعب أو على مسمع منه ، حتى يقتنع بتحمل التضحيات المطلوبة ، ولا يساوره أدنى شك فى مُلابساتها .

وشعبنا أَهْلٌ لمواجهة التحديات ، قادر على البذل والصبر ، على شرط أن يستشعر الإخلاص والعدل ، وأنه يُعَامَلُ كإنسانٍ لا كَقُرْبَان .

١٠ / ٧ / ١٩٨٦

ثروتنا الحقيقية

قيل : إن مصر أُم العجائب . . من عجائبها أنها تنوء بكثرة السكان، وفى الوقت نفسه تعانى من قلة اليد العاملة . . وشبيه بذلك ما جرى على مصدر رزقها ، وهو الأرض الزراعية ، فهى ضيقة محصورة لا تفى بتغذية نصف أبنائها ، ولكنها فى الوقت نفسه أهدرت منها فى البناء والتجريف مليوناً من الأفدنة . . حوادث لا يقبلها العقل ، ولا تصدر عن عقل ، فماذا نقول فى هذه الأمة ؟ .

ولنخص بحديثنا اليوم تناقض الكثرة والقلة ، كثرة السكان وقلة اليد العاملة . . نحن أمة محدودة الموارد ، ولن يتغير وضعنا تغيرًا جذريًا إلا بغزوة علمية خارقة للصحراء أو لباطن الأرض ، أمّا الآن فالقوة البشرية هى الثروة الحقيقية التى نملكها . . ولكن البشر من ناحية العدد والكم، وليسوا قوة ولا ثروة ، بل لعلهم عبء وهَمٌّ وفقر وتأخر . . أمَّا بِحُسن الإعداد والتربية والتعليم والثقافة فيصبحون قوة وثروة ، تعتمد عليهم التنمية الشاملة فى الداخل ، ويصلحون للتصدير، فينفعون وينتفعون . وما من صاحب حرفة أو مهنة إلاَّ يجد مكاناً يرحب به فوق سطح الأرض ، أو لا يضيق به كما يضيق بغيره ممن لم يُؤتوا حظًّا من علمٍ أو تدريب .

فلنوجه إلى ثروتنا الحقيقية العناية التى تستحقها ، والتى لن تتهيأ لنا

حياة كريمة إلا بها . . يجب أن تستوعب مدارسنا الابتدائية كل طفل ، يجب أن يقتصر الالتحاق بالجامعات على ذوى الاستعداد للتخصصات الرفيعة والقيادات العليا ، وبين الطرفين نستوفى احتياجاتنا من الحِرَفِ والمهارات الزراعية والصناعية والفنية ، هذا الإعداد يجب أن يكون شاملاً وجامعاً وعلى أحدث المناهج المعاصرة لتخريج خير العقول والأيدى . . هذه هى ثروتنا الحقيقية ، وهى أملنا الباقى اليوم وغدًا .

١٩٨٦ / ٩ / ٤

الدولة والثقافة

إنْ يكن للدولة دور فى الثقافة فهو أولاً وقبل كل شىء خَلْقُ المواطن المثقف . . وهى إذا ركزت على هذا الدور فقد أدت ما عليها نحو الثقافة بما يقارب الكمال ، أَمَّا إذا أهملته أو تناسته ثم أنفقت بعد ذلك الملايين فى تقديم شتى الخدمات الثقافية فجهدها المشكور ربما ضاع هباءً ، أو تبدد بدون ثمرة تُذكر . ولستُ ممن يجهلون أو يتجاهلون ما أَدَّته الدولة من خدمات فى هذا المجال ، كإنشاء المعاهد العلمية ، وإدارة المسارح ، ومساندة الإنتاج السينمائى والموسيقى والفن التشكيلى ، ونهضتها المحمودة بالكتاب والمجلة كَمًّا وكيفاً ، حدث هذا ويحدث كل يوم ، على حين لا تنقطع الشكوى من تَرَدِّى القيم الثقافية ، وانتشار الأمية فى ربوعها .

لا أنكر الظروف الطارئة ـ اقتصادية واجتماعية وسياسية ـ التى دفعت بنا إلى هذا الحضيض ، ولكنى لا أشك فى أن الحال كانت ستكون أفضل بكثير لو كانت لنا قاعدة منيعة من الثقافة والمثقفين . ربما خسرنا فى تلك الحال معاركَ لا حروباً كاملة ، أو فقدنا أعدادًا وعتادًا ، ولكن يبقى لنا أساسٌ سليم متين يصمد للأحداث ، ويكافح من جديد من أجل البقاء . فالهدف يجب أن يكون خلق المثقف ، أى عاشق الثقافة والمعرفة ، الذى لا يستسيغ الحياة بدون الحق والخير والجمال .

وهذا الفرد لا يتكون إلاَّ فى سنى النشأة الأولى ، فى البيت ، فإذا تعذر ذلك ففى المراحل التعليمية الأولى ، من ابتدائية وإعدادية وثانوية . فالأمانة أولاً تحملها وزارة التربية والتعليم ، ولوزارة الثقافة فيها دور المشاركة والتوجيه ، ولأجهزة الإعلام دور المعاونة والتطبيق . وإذا وُجِدَ هذا الفرد وتنامَى فصار جيلاً ، فهو الكفيل بخلق ما نحلم به ولا نستطيعه ، فبفضل وجودِهِ وضغطه ومطالبه وإلحاحه تتألق الصحف بالثقافة ، وتزدهر المسارح ودور السينما بالروائع ، وتنتشر الكُتب القيمة ، وينشط النقد ، ويسلس النشر . أرجو ألاَّ يغيب ذلك عَمَّنْ يخططون للثقافة والتعليم على السواء .

١٩٨٦ / ١٠ / ٢٣

دواء لأكثر من داء

فى الظاهر الأُمية وتنظيم الأسرة مشكلتان ، وفى الحقيقة هما مشكلة واحدة ، أو مشكلتان متداخلتان متشابكتان لدرجة تجعل منهما مشكلة واحدة ، الأمية ثمرة مُرة حتمية للجهل ، والتسيب فى الإنجاب بدون مراعاة للظروف ، ثمرة حتمية للجهل كذلك . وهما يتشابهان أيضاً فى أن الدولة أعلنت عليهما حرباً من قديم ، وأنفقت فى سبيل ذلك أموالاً طائلة ، ولم تزد النتيجة عن الصفر إلاّ قليلاً ، بل إن الأمية تتزايد ، والنمو السكانى يتفاقم ، وأخيرًا فهما يتماثلان فى أنَّ علاجهما الحقيقى واحد ، وإنْ لم نستثمره كما ينبغى ، علاجهما التعليم والثقافة ، تعليم يستوعب كل طفل ، وبلا استثناء ، مع المحافظة على استمراريته لكل فرد حتى النهاية ، وثقافة يجب أن تشكل عنصرًا سياسيًا فى كل مرحلة تعليمية ، مع تكثيفها فى الوقت نفسه فى أجهزة الإعلام المختلفة . هذا هو العلاج الحقيقى المجدى ، وقد أثبت فعاليته لَدَى مَنْ أُتيح لهم حظ منه ـ أى من التعليم والثقافة ـ بلا حاجة إلى تنبيه أو تحذير أو دعاية ، فتنمحى الأمية بطبيعة الحال ، هجائية وفكرية ، وتنظيم الأسرة فى عدد محدود ، ويجرى التفكير فى المستقبل جنباً إلى جنب مع التفكير فى الحاضر والماضى .

التعليم والثقافة هما الأساس الذى يجب أن نقيم عليهما بنيان الفرد ، أيًّا ما يكون تخصصه بعد ذلك ، وهو أوجب من الواجب ، فى عصر تَمَيَّزَ بين العصور بالاستنارة والمعلومات ، وأصبح الجهل فيه التمهيد العاجل للعدم . فلنوفر ما نُنفقه على تنظيم الأسرة ومحو الأمية لندعم به التعليم والثقافة ، وليتكفل التليفزيون بالثقافة العامَّة والتوعيةِ لِمَنْ فاتهم قطار التعليم ، ولن يمر جيل حتى نتخلص نهائيًّا من الأمية ، ومن كثير من الأدواء التى نتورط فيها بسببٍ من الجهل والتقاليد العمياء .

٣٠/ ١٠/ ١٩٨٦

وزارة جديدة

نتمنى للوزارة الجديدة التوفيق فى حمل أمانتها الثقيلة ، وأن تبذل همتها ووطنيتها فى تحقيق الأهداف التى نص عليها خطاب التكليف ، وهى أهداف قديمة متجددة يرنو إليها الشعب من قديم ، ويتلهف على تحقيقها صابرًا متصبرًا ، مكابدًا من الألم والمعاناة ما الله وحده عالم به . وإذا كنا لم نعرف سبباً لرحيل الوزارة السابقة ، وخاصة أنها شُيِّعَتْ بالثناء والتقدير ، فإننا نستطيع أن نَحْدُسَ أن الرئيس الجديد رجل ممَّنْ يُرْكَنُ إليهم عند الشدة ، ويُقَدَّمُ لدى الحسم فى مواجهة التحديات ، ومن أجل ذلك يحدونا الأمل فى أن نلمس تجددًا فى النشاط ، وسدادًا فى التفكير ، وسرعة فى التنفيذ ، وحزماً فى المتابعة والمراقبة والمحاسبة فى ظل ديمقراطية حقيقية ، واحترام كامل لحقوق الانسان .

ومما يفتح صدورنا للأمل ويملأ قلوبنا بالثقة ما نُشِرَ عن تاريخ الرئيس الجديد ، وهو تاريخ حافل بالعلم والعمل ، وما قيل عنه من أنه عدو لدود للفساد ، لا يهادن فيه ولا يسامح ، ونحن أشد ما نكون حاجة إلى العلم والعمل والطهارة ، وأشد ما نكون ضيقًا بالتصريحات والوعود والمظاهر الكاذبة . وأعتقد أن الرئيس الجديد إذا عاهَدَ الله على أن يحترم الشعب حقًّا وفعلاً بأن يُصارحه بالحقائق بدون تزييف ، ويُعالنه بالدواء بدون تخفيف ، ويضرب له المثل هو ومن تبعه من

المسئولين بالقُدْوةِ الصالحة فى المعيشة والسلوك والطهارة ، أعتقد لو فعل ذلك فإنه سيجد من الشعب المزيد من الصبر ، بل والحماس فى التصدى للتحديات ، بل والتضحية التى تمليها الظروف ويقتضيها إنقاذ الوطن .

وبعد ، فأكرر تمنياتى بالتوفيق ، وأيضاً بالبقاء فى الحُكم حتى يتم إنجاز الوعود ، فإن التغيير المطرد قد يسلى المتفرجين فى مسرح ، ولكنه يقلق المشاركين فى الهموم ، المتلهفين على الإصلاح ، الطامحين إلى الاستقرار .

١٩٨٦ / ١١ / ٢٠

العلوم فى مدارس اللغات

تلقيت رسالة من الدكتور المهندس كارمن عبد الوهاب ، تضمنت شكوى من قرارٍ صدر أخيرًا بشأن دراسة العلوم فى مدارس اللغات الابتدائية ، وقدْ صَدَّرَهُ بما يتكلفه الآباء من مصروفات باهظة ، بالإضافة إلى مدة فترة الدراسة الابتدائية فى مدارس اللغات إلى ثمانى سنوات ، بزيادة عامين عن مدارس الحكومة ، أما القرار ـ وهو محور الشكوى ـ فيقضى بدراسة العلوم ، بدءًا من السنة الخامسة ، بعد أن كانت تدرس من السنة الأولى ، وقد مضت الدراسة على النظام الأول ، فلم تصدر شكوى من أحد ، وتتابعت الامتحانات محققة أفضل النتائج . وختم رسالته راجياً إعادة النظر فى القرار ، تفادياً من سوء العواقب ، وقبل أن يكثر عدد ضحاياه بعد فوات الفرصة فى إصلاحه .

والحق أننى لستُ على بَيِّنَةٍ من الموضوع فى مقدمة المعارف التى على الناشئة تحصيلها وإتقانها فى هذا العصر ، والتى يقوم عليها الاعتماد الأول فى تطوير حياتنا إلى الأفضل ، وفى تناغمنا مع العصر الحديث . ولعل العِلْمَ هو النشاط الأوحد الذى يتفق عليه العلمانيون والسلفيون . وكان يجب أن يصحب قرار خطير كهذا القرار ما يبرره ويفسره ، احتراماً للرأى العام ، ورحمة بأولياء الأمور . ولو تم ذلك لمَا أرسل صاحب

الشكوى رسالته الشاكية التى تفصح فى ثناياها عن قلق بالغ وألم شديد، وخاصة أن سيادته من الصفوة العلمية ، ويُقدر ولا شك مسئولية كلمته فيما يتعلق بأبنائه وفيما يخص الوطن .

١/ ١/ ١٩٨٧

طريق آخر للمجد

تحتل مصر موقعاً استراتيجيًّا مميزًا بين القارات ، يدفعها حين الشعور بالقوة وامتلاك أسبابها إلى الامتداد ، ويجعلها حين الضعف فريسة للطامعين . قديماً أَسَّسَتْ أولَ إمبراطورية فى التاريخ ، ثم تتابع عليها الحُكم الأجنبى فى ليل طويل . وما زال هذا الموقع الفريد يدير الرءوس فى عصرنا الحديث ، فيغرى بالعظمة والتسلط برغم تغيُّر الظروف والأحوال ، فمصر لم تعد من مراكز القوى المعدودة فى العالم ، وظهر فى الدنيا عمالقة جُدد تُقاس قوتهم إلى قوتنا بما تُقاس به النجوم إلى الكواكب .

ونتناسَى هذه الحقيقية أحياناً فى نشوة من نشوات النجاح ، تناساها محمد على ، فأنشأ إمبراطوريةً متجاهلاً تربص الإمبراطوريات من حوله، فعرض نفسه وبلاده إلى قضاء شبه محتوم ، فصفيت إمبراطوريته، بل صفى هو ما بناه فى الداخل بنفسه ، وأرجعنا إلى نقطة الصفر . تناساها جمال عبد الناصر ، فشرع ينشر جناحى وطنه شرقاً وغرباً متحديًا إمبرطوريات الأمس والغد [illegible]رَّ بلاده إلى قضاء شبه محتوم ، فتوقف عمله البنائى ، وأرجعنا إلى الصفر .

على مصر أَنْ تُقيم سياستها الخارجية ـ أول ما تقيمها ـ على تجنُّب

تَحَدِّى القُوَى العملاقة ، لتتجنَّبَ ذلك المصير المشئوم .نحن مثل الكواكب التى تدور فى مداراتها حول النجوم ، إذا انحرفت بعيدًا ماتت بردًا ، وإذا انحرفت قريبًا هلكت احتراقاً ، فعلينا أن نهتدى إلى سواء سبيلنا المرسوم بحكم الزمان والمكان .

وهى دعوة إلى النجاة لا إلى الاستسلام، ولا تمس طموحنا الشريف إلى المجد ، فثمة دول من أصغر الدول حجماً وسكاناً وقوة ولكنها تحتل منزلة فى الحضارة ترفعها إلى القمم ، كالسويد ، والدانمارك ، وسويسرا. فليس التفوق مقصورًا على القوة وحدها ، ولكن يوجد مجال آخر أصعب وأنبل لإثبات الذات فى الحضارة والعلم والثقافة ، علينا أن نستفيد من تاريخنا ، وأن نفهم واقعنا ، وأن نبنى مشروعنا على أرض السلام والعلم والإيمان .

١٩٨٧ / ١ / ٢٩

مؤتمر الثروة البشرية

مؤتمر هام لبحث مشروع حضارى تربوى لمصر أقامته رابطة التربية الحديثة بتربية جامعة عين شمس فى الفترة من ١١ إلى ١٣ من شهر أبريل . وللمجلس القومى فى ذلك بحوث تزخر بالآراء السديدة والتوجيهات البناءة . وواضح أنه لا تنقصنا الآراء ، ولكننا فى أشد الحاجة إلى التنفيذ الحاسم لإصلاح نظام ضج الخَلْقُ من كثرة ما وُجِّهَ إليه من نقدٍ وشكوى .

والتربية تستحق منا كل عناية ورعاية ، فهى التى تهيمن على مصير ثروتنا الأولى ، أعنى ثروتنا البشرية ، التى يتوقف عليها بالتالى مستقبل الوطن وحظه من الوجود ، وتصدِّيه الخَلَّاق لمشكلات الحاضر والمستقبل . ولا أنوى العودة إلى إحصاء العيوب ، فهى حديث مُعَاد ، وهَمٌّ ثقيل يعانيه أولياء الأمور والمصلحون ، ومَنْ يتابعون هُمومَ الشباب فى جميع مراحلها المتعثرة . حسبى أن الأمر كله قد وُضِعَ بين أيدى أهل الخبرة فيه ، وسأكتفى بالتذكير بمبادىء عامة يجيش بها صدر كل مُحِبٍّ لهذا الوطن وكل غيورٍ على مستقبله .

نحن نتطلع دائماً إلى أن يقيم التعليم حوارًا بَنَّاءً بين تراثنا من القيم وبين العصر وقيمه ، على أساس متين من تربية دينية مستنيرة، بالإضافة

إلى التربية الثقافية والذوقية والرياضية . ونتطلع إلى أن يعد الفرد لحياته العملية إعدادًا يهيىء له النجاح والتفوق بما يتطلبه من دراسة علمية وخبرة عملية . ونأمل ـ وهذا مهم جدًّا ـ أن تتغير مناهجه وأساليبه من الاعتماد على الذاكرة إلى الاعتماد على الذكاء والتفكير والإبداع ، والقدرة على مواجهة المشكلات وحلها . إن التربية السليمة تبدأ كجواب على سؤال بسيط وخطير معاً ، وهو : «كيف نريد للفرد أن يكون ؟ وكيف نريد للمجتمع أن يكون؟ » . وستجد دائماً وراء كل أمة ناهضة نظاماً تربويًّا فَذًّا . المهم أن نؤمن ، وأن نقرر ، وأن نبدأ .

١٩٨٧ / ٤ / ٣٠

الطوفان والسفينة

قال الشاب : « إنك تحثنى على تسجيل اسمى فى جدول الانتخابات باعتباره حقًّا لى ، وواجبًا عَلَيَّ فى آنٍ ، فما معنى الانتخابات ؟ وما معنى الحقوق ؟ وما معنى الواجبات ؟ إنها كلام فى كلام فى كلام ، إنى يائس تماماً ، متشائم حتى النهاية ، لاثقة لى فى قولٍ أو فعل أو رجل أو حاضر أو تاريخ ، تعلمتُ تعليماً ناقصاً ، وأُلحقت بعملٍ لاخير فيه لنفسى ولا للناس ، أو هو بطالة مقنعة كما تقولون بصدق ، ولى مرتب لا يُشْبِعُ ولا يُغْنِى ، ولا يحقق لى الاستقلال عن أسرتى المطحونة ، وأنا محروم من مطالب الحياة الأساسية كالحب والزواج والمسكن ، وأعيش بلا أمل فى عالم كئيب ، مُحَاصَرًا بالقذارة والضجيج والانتهازيين واللصوص من جهة ، وبأصحاب الملايين العابثين من جهة أخرى ، فى مجتمع ظالم باغٍ يُنادى بلسانٍ كاذب بسيادة القانون والعدل ، ويمارس التفرقة بين أبنائه بالمحسوبية والامتيازات ، هذا هو حالنا نحن الشبان ، ولا يُستثنى منه إلاَّ مَنْ سانده الحظ بأبٍ غنى ، أو أم غنية ، أو مَنْ وَجَدَ فى الخارج فرصة عمل تغير موازينه ، فلا تحدثنى عن الانتخابات والحقوق والواجبات والغد الموعود بالأمل والفلاح » .

والحق أنه لولا كثرة سماعى لهذه الآراء أو هذه الأنَّات المستعرة لَمَا رضيتُ أن أسجلها وأنشرها ، ولكنَّ إخفاءها ليس من الأمانة فى شىء ،

ولا هو من الحكمة أيضاً . لعله صوت جيل لا صوت فرد ، ولعله تعليق تلقائى على فترة من الحضارة أنهكتها المآسى ، والحق أيضاً أنَّ الشاب ، لانغماسه فى أزمته قد فقد النظرة الشاملة ، وظلم كثيرًا من العمل البناء والاجتهاد الصادق ، وطمس بوارق أملٍ تلوح فى الأفق ، ولكن مَنْ ذا الذى لايعذر شابًا خسر أهم مقومات الحياة والسعادة ؟! .

ولنتساءل مخلصين : كيف تطمئن أُمة وفى جوفها هذا القَدْرُ من اليأس والغضب والتجهم ؟ كيف تتقاعد ساعة واحدة عن إصلاح شأنها وتقويم سلوكها والتفانى فى العمل والإنتاج والإصلاح ؟ إنه سباق بين طوفان وبين سفينة لا تُبْنَى إلا بسواعد الإيمان والعلم والعمل .

١٩٨٧ / ٥ / ١٤

مشكلة المشاكل

تواجهنا تحديات كثيرة حقًّا ، ولَكِنْ ثَمَّة تحدٍّ شرسٍ يقف وحده كالصخرة الصلبة وكأنه قَدر . فتحديات مثل الأزمة الاقتصادية ، والقروض ، وضعف الإنتاج ، وسلبية الكثيرين ، ومشاكل الديمقراطية، والسياسة الخارجية ، كل هذه تحديات قابلة للحل ، وسوف نتغلب عليها بالفكر والعمل والزمن ، ولكن وراء ذلك مشكلة يبدو ألاَّ حَلَّ لها ، أو أنها تحتاج فى حلها إلى معجزة ، تلك هى مشكلة الانفجار السكانى ، وهى تكمن فى الواقع فى أعماق المشكلات الأخرى، إمَّا كسبب وحيد حيناً ، أو كسببٍ غالبٍ حيناً آخر ، أو فى الأقل كسبب مشارك . هى فى الحقيقة هَمُّ النهارِ والليل ، وهى تعنى أن السفينة تنوء بحمولتها ، وأنها تتحمل يوماً بعد يوم زيادة متصاعدة فوق طاقتها المفترضة ، وأنها فى النهاية مهددة بالغرق ، حتى لو سلمت من جميع الآفات ، وحَظِيَ ركابها بأسباب الصحة والعافية .

والحلول التقليدية للمشكلة لم تعد بالصالحة فى زماننا ، فقديماً كان الغزو الخارجى يخلق متنفساً ومجالاً ، كذلك الهجرة الجماعية ، اليوم لا مجال للغزو ، ولا مُتَّسَعَ للهجرة الجماعية إلا فى ظروف طارئة وعابرة، كما أن تنظيم الأسرة كما عرفناه لا أثر له ، لم يبق لنا إلا الوسائل الجديدة المبتكرة ، كأن نتغلب على الصحراء بالعلم ، أو أن نلجأ فى تنظيم الأسرة

إلى طُرق صارمة لم نعهدها من قبل ، تفادياً من المجاعة ، أو مما هو شَرٌّ منها ، كالفوضى .

وليكن فى علمنا أن حالنا لاتسمح بإهمال فرد واحد من أفراد شعبنا ، فأقل ما يُطلب منا أن نُزوده بما يلزمه علميًّا وعمليًّا وأخلاقيًّا ليصلح لمواجهة حياة عسيرة قاسية فى وطنه أو فى مكان آخر إذا ضاق عنه وطنه ، وعلينا أن نفرغ من جميع التحديات لنتفرغ لذلك التحدى أولاً وأخيراً .

٤ / ٦ / ١٩٨٧

الداء يصل إلى البذور

فى غمرة الظلمات تتوجه القلوب عادة إلى المدرسة باعتبارها مصدر إشعاع دائم لمستقبل أفضل ، ومعملاً لتفريخ أنماط بشرية جديدة أصلح للبقاء ، والنهوض بأعباء الحياة فى جميع فروعها المعاصرة . وتجىء ظاهرة الغش الجماعى فتهوى على الرءوس كالصاعقة ، وتعتم ضياء الآمال بغبارها الأسود بلا رحمة . . معناها بكل بساطة أنها تنتزع من وجودنا فترة البراءة والطهارة والمبادىء والمُثل . . معناها الاستهانة المُزرية بتحصيل العلم والمعرفة والثقافة والتأهيل للعمل . . معناها الركض وراء الثمرة ، وهى الشهادة ، ولو بالتزوير والتضليل ، لتجعل من الحياة سلسلة من الفساد والجهل والبطالة المقنعة .

إنه شر يجب أن نحشد جميع القوى للتصدى له والقضاء عليه ، مستعينين بالحزم والبتر والقانون ، ولو أعدنا التفكير فى نظام التعليم كله من أساسه ، بحيث نستغنى عن الامتحان ، فندعو أهل الخبرة إلى إحلال بديل له يكشف عن كفاءة التلميذ وتحصيله . كما ينبغى العناية بالتربية والسلوك ، والتشدد فى ذلك لحد القسوة لَدَى أى انحراف .

ها نحن نجنى العواقب الوخيمة للطغيان وفساده ، والسلب والنهب، ومعايشة التسيب والإهمال ، والعبث بالقانون ، ومداراة

المنحرفين الكبار ، والإغداق بالامتيازات على أهل الثقة والقُربى . هانحن نجنى العواقب الوخيمة لاستهتار الكبار من ناحية ، وسكوت الشعب وصبره من ناحية أخرى . إن الجميع ـ وفى مقدمتهم وزير التربية والتعليم ـ مدعوون لعلاج هذه المصيبة بأى ثمن ، وبأى تضحية ، وبكل حزم وسرعة ، قبل أن نقول بصوت محشرج : على الدنيا السلام .

١١ / ٦ / ١٩٨٧

خطة جديدة

بدأنا فى تنفيذ الخطة الخمسية الثانية ، وهى كما تعلمون خطة شاملة تستهدف التنمية فى كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ولذلك فإننى أعجب لمن يفتقد مشروعاً قوميًّا نلتف حوله ويَجِدُّ فى البحث عنه ، فأى مشروع أهم من التقدم فى سباق العصر ؟ وأى معركة أخطر من محاربة التخلف ؟ الخطة مشروع جاهز حى متجدد ، لا ينقصه إلا دعاية واعية مؤثرة تزرعه فى أعماق القلوب والإرادات .

وأتساءل : لماذا لم نمهد فى تقديم الخطة الجديدة ببيان ما تم وما لم يتم من الخطة المنتهية ؟ . هذا مهم جدًّا للدراسة والعبرة ، ولنقف على مدى تصميمنا على الخروج من أزمتنا والانطلاق فى مسيرتنا . وأول ما يُلاحَظ أن مناقشة الميزانية والخطة مرت فى مجلس الشعب فى عجلة ولهوجة لا تناسبان المقام ، والحق أن مِنْ حقوق ممثل الشعب أن يقول ما لديه من قول مفيد ولو احتدت المناقشة شهرين أو ثلاثة .

حسبنا الآن أن نرجو أن نواصل مسيرتنا بجدية مضاعفة تتمثل فى التزامنا بالتقشف فى الإنفاق ، والجد فى تحصيل الأموال المستحقة، ومطاردة الانحراف فى ظل سيادة القانون . حسبنا أن نحث على متابعة الإنتاج ومضاعفته ، وإعادة النظر فى الإجازات والوقت المُهْدَر ، ووضع

القواعد الثابتة للحوافز والزواجر ، باعتبار أن الإنتاج هو أساس الحياة والنهضة والأمل .

وحسبنا أن نشير إلى وجوب الاهتمام بالتعليم وتجديده وإصلاحه ، حتى لأكاد أطالب بإدخال التعليم فى بلادنا من جديد بعد أعوامٍ أُهدرت فى ضياعٍ وجهالة ، وساءَ خِتَامُها بالغش الجماعى . وتلحقَ الثقافة بالتعليم فى ذلك بكافة أشكالها : المقروءة ، والمسموعة ، والمرئية ، فما عاد فى الوقت مُتَّسَعٌ للتهاون فى بناء الفرد ومطالعة المستقبل فى هذا العصر الذى ينطلق فيه التقدم بسرعة الضوء .

لا أدرى كم خطة تُنَفَّذ حتى نستعيد توازننا ، ويتخايل لأعيننا مستقبل مشرق . . ولكنى مؤمن بأنه لا وسيلة لنا إلاَّ العمل ، والعمل ، والعمل .

١٩٨٧ / ٧ / ٩

آمال ثقافية

فى حياتنا الثقافية منطلقات للعمل ، ومحركات للأمل ، خليقة لو تعهدناها بالرعاية أن تشعل شموعاً فى الظلام الراكد ، منها متابعة ما انعقد العزم عليه من إنشاء دائرة المعارف . ووزير الثقافة لا يحتاج لِمَنْ يذكره بشأن من شئون الثقافة ، وسوف نذكر له دائماً تفانيه فى خدمة الثقافة الرفيعة مُمَثَّلَةً فى الكتاب ، وما قدمته أجهزته النشيطة فى هذا المجال ، سواء فى الإنتاج ، أو التوزيع ، أو التيسير ، وما أدّاه أخيراً شخصيًّا لإزالة العقبات من مجرى الاستيراد والتصدير ، فلعلَّه يأتينا خبر مُبشر فى القريب عن بدء العمل فى مشروع الدائرة الذى طال الانتظار له .

ومنها ما يخص التليفزيون فى خدماته الثقافية . ودور التليفزيون فى نشر الثقافة العامة وإيصالها إلى الطبقات المحرومة منها دور تاريخى يجب أن يُحْسَبَ له على مدى العصور ، ولكن على التليفزيون أن يضاعف جهده فى الثقافة الرفيعة فى زمن قاسٍ تَنَكَّرَ للثقافة والقيم .

والمجال واسع لمن يريد أن يعمل ، سواء فى عرض المختار من الأعمال الفنية ـ محلية وعالمية ـ أو ابتكار البرامج الداعية للفكر والكتاب ، وبوسعه أن يخلق فى الرأى العام اهتماماً بالثقافة مثلما فعل فى ميدان

الرياضة مع اختلاف النسبة ، وبذلك يؤدى دورًا جليلاً فى بناء شخصيتنا التى أنهكتها الأزمات .

وهناك الفيلم المصرى ومعاناته ، وما يتهدد بقاءه لا مجرد ازدهاره ، ألاَ يقتضى ذلك أن تجتمع صفوة من السينمائيين ـ مبدعين ومنتجين ـ مع المسئولين فى وزارة الثقافة لبحث الموضوع من كافة جوانبه ، واقتراح ما تراه من الأعمال والتشريعات لإنقاذ الفيلم من محنته وتوجيهه مرة أخرى ليؤدى دوره فى المجتمع والروح ؟

أرجو ألاَّ يدعونا الخمود إلى اليأس ، بل أن يكون باعثنا على العمل .

١٧ / ٩ / ١٩٨٧

الثقافة الغائبة

كلام طيب عن كل نشاط ولا كلمة واحدة عن الثقافة . هذا ما دار فى حوار طويل عَمّا تم إنجازه فى الخطة الخمسية الأولى ، تابعته باهتمام وارتياح ، متفائلاً بأرقامه وتفاصيله ، ولكن استوقفنى بشدة أننى لم أظفر بكلمة واحدة عن الثقافة ، فلا السائل سأل ولا المسئول بطبيعة الحال أجاب ، لماذا وقد تمت فى حقل الثقافة إنجازات تُذكر وتُحمد وتستحق التنويه ؟ .

المسألة بكل بساطة أن الثقافة لا تخطر بالبال ولا تشغل القلب . إننا لا نضن عليها بالثناء الجميل والقول البليغ عند الضرورة ، ولكننا نغفلها إذا تُرِكْنَا على سَجِيَّتنا ، وفى ذلك الدلالة كل الدلالة على هوان منزلتها وتردِّى حالها ، فلن يقتصر هبوطها على ما يُقدم من أفلام ومسرحيات وأغانٍ هابطة ، ولا على حال التقهقر الذى أصاب القراءة الجادة والقارئين ، ولكنه يتجلى بنفس القوة فى المكان االذى تشغله من همومنا الذهنية .

ترى أَمَا زلنا ننظر إليها نظرة سطحية نرى فيها ترفاً مليحاً ، وزينة جميلة ، وتسلية طريفة ؟ . ترى أيعتبر جميع ما يقال عن دورها فى بناء الشخصية وصقل العقول والأرواح وشحذ الهمم بلاغة إنشائية

ومحفوظات نثرية ؟ . وكيف نُقنع المترددين بأن تدهور الثقافة يجيء فى مقدمة الأسباب المسئولة عن كثير مِمَّا نشكوه ونعانى منه ، مثل ضعف الانتماء ، والانغلاق الذاتى ، والوقوع فى أَسْرِ الأفكار المظلمة ؟ . الثقافة يا سادة هى مفتاح الشخصية المأمولة ، والأساس المكين للنهضة الموجودة .. وعلى الله سواء السبيل .

١٩٨٧ / ١٠ / ٨

آراء الأعضاء ورغباتهم

عقب أى سؤال يُطرح فى مجلس الشعب ، وحين أى مناقشة ، وبخاصة مناقشة الميزانية والخطة ، يتحدث أعضاء كثيرون ، مؤيدين ومعارضين ، وتُعلن آراء وملاحظات ، فيرد بعض الوزراء مدافعين أو مفسرين ، ويلتزمون أحياناً بوعود مُهمة ، ثم تختم المناقشة بالانتقال إلى جدول الأعمال . أقول : إن كل رأى يصدر عن عضو فهو يصدر عن الشعب ، منطلقاً من واقع تعانيه الجماهير مُستهدفاً تقويماً وإصلاحاً ، فلا يجوز أن يتلاشى فى الفراغ كأن لم يكن .

قديماً كانت كل وزارة تجمع ما يخصها من آراء الأعضاء ورغباتهم بوساطة سكرتيرها البرلمانى ، وتتدارسها فى العطلة البرلمانية مع أقسامها ومصالحها فى القاهرة والأقاليم ، وتعد لكل رأى ما يناسبه من الإجابة ، سواء أكانت بالتنفيذ العاجل أو الآجل ، أو الاعتذار مع إيضاح الأسباب ، وتعرض جميع الإجابات على لجنة الشئون المالية عند نظر الحساب الختامى ، فيناقشها الأعضاء مع الوزير المختص وتُبَلَّغُ إلى المجلس .

لا أدرى كيف يسير النظام اليوم ، ولكننا يجب أن نحافظ على جوهر الموضوع مهما تغير الشكل ، فإن لم يكن ثمة سكرتير برلمانى للقيام

بالمهمة فليشكِّلِ السيد رئيس المجلس جهازًا للمتابعة فى مجلس الشعب يحصر الرغبات والآراء ويوزعها على الوزارات المختصة ، ويطالبها بالإجابات الشافية ليوزعها بدوره على الأعضاء ، ثم يُحاط المجلس علماً بها فى حينها ، وكما قلت ، فرأى العضو هو رأى الشعب ، ورأى الشعب يجب أن يُتَوَّجَ بقرار ، وبذلك لا تضيع كلمة طيبة بلا ثمرة طيبة .

١٩٨٧ / ١٠ / ٢٣

الوعى المنشـود

مشكلاتنا المتحدية من نوع يمكن أن نسميه بمشكلات الولادة . . فالقوانين التى تثقل تقدمنا الديمقراطى ، وعجزنا عن توفير الغذاء والمأوى للسكان ، وما يهدد شبابنا من ضعف التعليم والتربية ، وإيجاد فُرص العمل المبدع والأجر الكافى ، وتلوث أجوائنا ، وقذارة مدننا ، وفساد الإدارة والذمم ، وعدم سيادة القانون ، ووهن الانتماء ، كل أولئك وغيره أعراض لمرض ولادة غير سليمة ، ولادتنا من العدم أو ما يشبهه إلى الوجود ، مجرد الوجود .

أما مشكلتنا الأساسية فهى مشكلة حضارية ، هى التخلف عن العصر فى جملة نواحيه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، هذا التخلف الذى يقضى علينا بأن نكون تابعين للأمم المتطورة فى كل شىء من اللقمة وحتى الذوق برغم خصوصيته . دائماً يرعبنا القهر والجوع ، ويرين علينا الهوان والاغتراب . ولعله يلزمنا أول ما يلزمنا أن نشعر شعوراً عميقاً بمأساتنا ، شعوراً يجب أن يؤرق ضمائرنا ، ويتعس وجداننا ، وينفذ بالأمة إلى نخاع عظامنا . وعلى ذلك الشعور أن ينتشر فلا يعفى من آثاره كبيراً أو صغيراً ، رجلا أو امرأة ، حتى نأمل فى ثورة على الواقع والوثوب إلى تغييره بكل ما نملك من إرادة وعقل ، ورغبة فى الحياة السامية . لا يهم الوقت الذى ينقضى لنبلغ ما نريد ، ولا طول

الطريق التى علينا أن نطويها ، المهم أن نعايش النضال والعمل ساعة بعد أخرى ، ويوماً بعد يوم ، ومهما يكن من أمرٍ ، فالإنسان المناضل أفضل من المستسلم اليائس ، والعامل خير من فاقد الوعى .

علينا أن نمتلىء بالوعى ، وأن نتشرب طاقة العمل ، وأن نتحرر من الأنظمة المكبلة للعقول والأرواح ، وأن نتحدى الزمن الذى سقطنا فى قعره نتيجة للسهو أو الخمول ، وليكن فى علمنا أننا إذا لم ننطلق بقوة ونتحرر من السهو أو الخمول ، وإذا لم ننطلق بقوة من داخلنا فلن يَمُدَّ لنا أحَدٌ يده ، وإذا لم ندفع الموت بِهِمَّتِنَا فلن يبكينا إنسان ، ولن ننال فى النهاية إلاَّ ما نستحق . وما القَدَرُ ـ فى كثير من أحواله ـ إلا المصير الذى نكتبه بأيدينا .

١٩٨٧ / ١٠ / ٢٩

آمال نترقبها

لـو سألت نفسى عمًّا تأمله فى الفترة القادمة لَمَا أمكن أن يخرج عن حدود هذا العنوان الجامع «التنمية الشاملة» . فهو من ناحية جامع لكافة الأنشطة : من زراعة ، وصناعة ، وتعليم ، وعلم ، وصحة ، وثقافة ، وإدارة ، وأمن عام ، ودفاع ، وبحث علمى ، ومواصلات ، ونظافة ، وسياسة خارجية ، إلخ ، وهو من ناحية أخرى واقع تُحْشَدُ القوى لتنفيذه تطبيقاً لتخطيط علمى ، ويقظة رقابية ، ومتابعة تنفيذية ، لا حلم وتمنيات طيبة فحسب . وأخيرًا ـ وليس آخِرًا ـ فهو ضرورة تقتضيها حياتنا ، ويتطلبها وجودنا فى هذا العصر الذى يؤرقنا التخلف فيه .

غير أن بعض الأنشطة تستحوذ على نفسى بدرجة أشد ، لا لأنها أهم ، فجميعها فى الأهمية سواء ، ولكن لأنها تسهم مباشرة فى بناء الإنسان ، والإنسان هو المحور ، وهو القوة الدافعة ، وهو الهدف . لذلك يهمنى دعم الديمقراطية وإحاطتها بالضمانات الكافية وتحريرها من كل قيد . وقد يرى تأجيل إعادة النظر فى الدستور حفظاً على الاستقرار فى هذه الفترة الحرجة ، ولكن لا ضرر البتة من إلغاء الكثير من القوانين السيئة السمعة على سبيل المثال ، وما يحملنى على الاهتمام بهذا الجانب هو أنه خير ضمان ممكن للعمل الصالح الطاهر ، كما أنه دعوة

مفتوحة للشعب للإيجابية ، والاشتراك فى البناء من موقع المسئولية والوطنية والكرامة .

ويهمنى أيضاً التعليم ، باعتباره المختص بأثمن ما نملك ، وهو قوتنا البشرية ، ولا يخفى دوره فى إعداد المواطن للوعى بوطنه وعصره ، وتثقيفه وتربيته الدينية والوطنية ، وإعداده لعملٍ مناسب فى هذا العصر العسير . كما تهمنى الإدارة لتكون حقًّا إدارة نظام وإنجاز فى خدمة الناس لا جهازًا عقيماً متخلفاً يتفنن فى تعذيبهم بجهل وجمود ، ولا أقول بسوء نية . إن كل يوم يمر بدون عمل مثمر يؤخرنا يوماً مقداره ألف سنة .

١٩٨٧ / ١١ / ٥

عهد الحقيقة والواقع

ما من سلبية من سلبيات حياتنا إلاَّ وقد عرفناها كما نعرف صورتنا فى المرآة . بل درسنا أبعادها وأسبابها وعواقبها فى العديد من المؤتمرات . وما المجالس القومية المتخصصة إلاَّ مؤتمرات دائمة ، وطالما شَخَّصَتِ الدَّاءَ ووصفتِ الدواء ، ولو أخذنا التوصيات مأخذ الجد لكان الحال غير الحال ، فما ينقصنا حقًّا هو الإقدامُ على التنفيذ .

والتنفيذ لا يؤخره نقص الاعتمادات المالية وحدها ، ويشهد على ذلك فداحة الديون ، ولكن تعترضه فى كثير من الأحايين تقاليد بالية ، ومصالح ذاتية ، وبيروقراطية عمياء ، ولكن أُلاحظ فى العهد الأخير أن المؤتمرات يتغير مجراها وأهدافها والنظرة إليها ، وتكتسب توصياتها اهتماماً وجدية وعناية لم تكن تحظى بمثلها من قبل . وأقرب مثال على ذلك مؤتمر التعليم . لم يعد الكلام صناعة يراد بها الكلام ، ولا شىء سوى الكلام ، ولوعلى سبيل الترويح عن أنفسٍ ضاقت بمعاناتها وعذاباتها .

وكما دبت فى حياتنا التعليمية حياة جديدة فنحن نرجو بعد مؤتمر الإنتاج أن تتدفق فى شرايينه دماء جديدة تخرج بنا من وهدة الخذلان إلى نهضة حضارية جديدة . لم يعد فى الوقت متسع لمتكاسلٍ ، لقد أثقلت المشكلات الكواهل حتى ناءت بها ، ولابد من حشد القوى لتعبئة عامة

لاختراق التحديات بالحلول الحاسمة مهما بدت غير تقليدية ، ومهما بدت قاسية ، كان يجب أن نبدأ من قديم ، ولا عُذْرَ لنا على تفريطنا فى الواجبات والحقوق . وعلينا اليوم أن نتصدى للحقائق ، ونتجرع النتائج بعد أن طال بنا النوم والتواكل ، وألهتنا الأحلام والأمانى . . نحن نعيش اليوم فى عهد الحقيقة والواقع ، والألم والمجد .

١٩٨٧ / ١٢ / ٢٤

عـام جديـــد

ثمة علامات طيبة تشير إلى التقدم وتدعو إلى التفاؤل . معرض الصادرات وما حَوى من سلع مُتْقَنَة وجميلة ، ومعرض الدفاع وما كشف عنه من عمل وتحدٍّ وإبداع ، فضلاً عَمّا بَشَّرَنَا به المبشر من إنشاء مُدن صناعية جديدة ، نحن نتقدم خطوة بعد خطوة . . نتقدم حتى لو لم يكن بالسرعة المنشودة ، بل نحن نسجل هذا التقدم ونحن على أسوأ ما يكون من الفساد والانحلال والضياع . تصور ما يمكن أن ننجزه لو أننا طهرنا أنفسنا من الآفات ، وقهرنا الضعف والإهمال والتراخى ، وأزحنا السدود عن طريق شبابنا .

تصور كيف تكون القوة والعزيمة ؟ وكيف يكون البناء والتعمير ؟ وكيف يكون الانطلاق إلى مراقى نهضة حقيقية ؟ التعليم يتجدد ، وغدًا نجنى ثمرةٍ سليمة لجيلٍ جديد واعدٍ بكل خير ، والإنتاج يحتل بؤرة العناية والاهتمام ، فانتظر عمّلا جادًا وإبداعًا حقيقيًا . وسيجىء يوم ـ ولعله أقرب مما نتخيل ـ فنجدد دستورنا ، ونطهر ديمقراطيتنا من كل شائبة ، وسوف تحدث المعجزة ، فيسود القانون فعلاً كما يسود قولاً ، ويرفع عن عامتنا عذاب المعاملة فى المصالح الحكومية والسجون ، ويتمتع كل مواطن بحقوقه فيؤدى واجبه بدون تمييز طبقى أو عائلى أو

دينى . ربما لا يسعفنا العمر حتى نشهد ذلك الوقت السعيد ، ولكننا نرضى بأن نشهد علامة تشير إليه ، أو خُطوة تُقَرِّب منه .

لا يخلو الميدان من صادقين طاهرين مؤمنين منتمين ، يواصلون العمل فى النهار والليل . لعلهم قِلَّة ، ولعله من العسير رؤيتهم بالعين المجردة ، ولكنهم موجودون حتماً ، والدليل على ذلك أننا لم نهلك ولم يدركنا الفناء . إنهم القلة التى أَوَتْ إلى سفينة نوح فنجت من طوفان الانحلال والفساد والرجعية والانتهازية . إنهم مِلْحُ الأرض ، بهم تتجدد الحياة ، وتطلع الشمس ، ويضيء الغد ، لا تَقُلْ إنِّى أحلم ، فليس بين الحلم والواقع إلاَّ خيط رفيع ، وطاقة إنسانية تُسمى بإرادة البقاء .

١٩٨٨ / ١ / ٧

حـول الإنتاج

الإنتاج حياتنا ، فلا عجب أن ينعقد من أجله مؤتمر قومى . لاعجبَ أيضاً أن يركز المؤتمر على دراسة مراكز الإنتاج وعلاقات الإنتاج وتجويده واستهلاكه فى الداخل والخارج ، وغير ذلك مما يقع فى صميم الموضوع ، ولكن يظل الأساس الأول هو : كيف نخلق الإنسان المنتج ، الإنسان الذى يعتبر الإنتاج قوامَ حياته وكرامته وقيمته وسعادته فى الحياة .

فأول ما يجب أن نسلم به أن الإنتاج فريضة دينية ، وأنه درس أولىّ فى التربية الدينية ، لينشأ الطفل على تقديسه مثل الصلاة والصيام والزكاة والتفكير . وثانى ما نعنى به التأهيل العلمى الجيد للفرد نظريًّا وتطبيقيًّا ، وما الحرف والمهن والتخصصات العليا إلا درجات فى هرم واحد متكامل ، يحل كل مواطن فيه حيث تضعه استعداداته وميوله بعيدًا عن أى تأثير لخير الفرد والمجتمع .

ويجىء دور العدل بجلاله ، فهو أساس العمل كما هو أساس المُلْك ، وهو يجىء عادة وفى ركابه الثواب والعقاب ، فَمِنْ كُلٍّ على قَدْرِ همته ، ولِكُلٍّ عَلى قدر همته ، يعقب ذلك الرعاية التى يجب أن تشمل الرزق والصحة والثقافة والترفيه . ولا ننسى معالجة مشكلة العِمالة الزائدة

باعتبارها من معوقات العمل ومثبطات الروح ، وهى تُعالج بإعادة التوزيع ، أو بتأهيل جديد لعمل جديد . وتيسير الهجرة ، أما الفائض بعد ذلك فيجب أن يُبعد عن مواقع العمل ليتبع وزارة العمل ، مع حفظ الحقوق كقوة احتياطية تحت الطلب أو للخدمة العامة .

علينا أيضاً أن نعيد النظر فى الإجازات الأسبوعية والموسمية ، فنحن نعانى معاناة الفقراء ونلهو لَهْوَ الأعيان . . من ذلك نرى أن الإنتاج ليس اختصاصًا ووقفاً على رجال الاقتصاد ، ولكن الدور الأول فيه ـ على المدى البعيد ـ من اختصاص الدين والإعلام والثقافة .

١٩٨٨ / ١ / ٢٨

عصر العلم والعلماء

عندما اطلعتُ فى الأهرام على نبإ الإنجاز العلمى الذى حققه العالم المصرى أحمد زويل ، وعندما علمتُ بالنجاح العالمى الذى فاز به المهندس حسن فتحى ، انتعشت روحى انتعاشة مشرقة لم تحظ بمثلها إلاَّ فى القليل النادر من أحداث السعادة ، ذلك أننى أعتبر العلم ومنجزاته فى مقدمة ما يقود الأمم إلى التقدم والقوة والرخاء ، أجل ، إن الأمم لا تعيش بالعلم وحده ، بل إن العلم نفسه لا يزدهر ويثمر إلاَّ فى أحضان حضارة متكاملة تقوم على أسس متينة من النظم السياسية ، والمبادىء الأخلاقية ، والعقائد الراسخة ، والـمُـثُل العليا . ولكن يظل العلم جوهرة فريدة فى هذا التاج ، ويظل للعلماء كرسى الصدارة ومنصة القيادة .

ونحن نملك اليوم كوادر علمية متنوعة ، ومؤسسات للبحث والدراسة ، ولكنها لا يُتاح لها أن تؤدى دورها كما ينبغى لها ، أو تتوارى فى الظل ، فلا يدرى الجمهور عنها شيئاً يُذكر . وواجبنا نحو الحضارة ونحو أنفسنا فى هذا العالم ـ الذى أصبح فيه التأخر صنو الفناء ـ أن نُمكنها من العمل والإشراف والتوجيه ، وأن نُبَوِّئَهَا المنازل التى تستحقها بكل جدارة ، وأن نُسلط عليها الأضواء باعتبار ذلك تربية علمية وتنمية حضارية ، ودعوة لنشر الحقيقة وعشقها بين الناس .

علينا أن نراعى ذلك فى تربيتنا الدينية والقومية وقصص أطفالنا ، وعلينا أن نعنى بنشر سلسلة مبسطة للثقافة العلمية ، وعلى التليفزيون أن يقوم بجولات دورية فى مراكز البحث ، وأن يهيىء لنا لقاءات مع العلماء بنفس الهمة المشكورة التى يبذلها للتعريف بأبطال الرياضة والفن .

تحية لكل عالم مصرى برز بسبب وجوده فى الخارج . .

وتحية للباحثين المصريين الذين تأتى أخبارهم على استحياء بين السطور بسبب بقائهم فى الداخل .

٤ / ٢/ ١٩٨٨

الثقافة والدولة

فى النظام الشمولى تسيطر الدولة على الثقافة توجيهاً وإنتاجاً وتوزيعاً تحت وطأة رقابة مشددة ، هذا حقها وواجبها معاً . أما الديمقراطية فيقوم بنيانها على الحرية ، وفى ظلها تتفتح جميع الأزهار وتجرى جميع التيارات ، ويكون الحكم للعقل والوعى والنقد والتطور الطبيعى ، فدور الدولة هنا يجب أن يقتصر على تهيئة المناخ الصالح للفكر والإبداع ، وتيسير الثقافة ما أمكن للناس جميعاً ، وأخْطُو خطوة أخرى فأترجم رأيى فى وظيفة الدولة الثقافية إلى النقاط الآتية :

١ ـ سن التشريعات التى تضمن حرية الفكر والإبداع ، وتحمى الإنتاج من التزوير ، وتضمن حقوق المفكرين والمبدعين .

٢ ـ العناية بالتربية الثقافية والذوقية فى جميع مراحل التعليم وأجهزة الإعلام .

٣ ـ تيسير الكتب بالمجان عن طريق فروع دار الكتب وقصور الثقافة وأندية الشباب .

٤ ـ إنشاء دوائر المعارف والقواميس ومراكز المعلومات ، وتنفيذ خطة شاملة لنشر التراث ، وترجمة الفكر والفن العالَمِيَّيْنِ .

٥ ـ رصد الجوائز السخية لتشجيع الإنتاج الرفيع والكشف عن المواهب الجديدة ، والعناية بالمهرجانات والمعارض .

الفن ظاهرة اجتماعية وخلية فى جسم المجتمع ، يفسد بفساده وينصلح بصلاحه ، ومن الخير أن يترك نشاطه للمنافسة الحرة بدون تدخل قد يعيق تطوره ، وبحسبه أن يرعاه النقد الواعى والتربية المتأنية والرأى العام فى ظل القانون .

لعله لم يغب عنك أننى لم أعزل الفن عن الدولة ، ولكننى أحرره من قبضتها ما أمكن ، فاقتراحاتى تستمد من مضمون الديمقراطية الاشتراكية لا الديمقراطية المطلقة .

١٩٨٨ / ٣ / ٢٤

مفتاح الإصـلاح

فى خطاب السيد الرئيس فى عيد العمال وردت أمور غاية فى الأهمية ، الكثير منها يستحق التنويه والتقدير ، ولا تخلو من نقاط تثير المناقشة ، ولكننى أختار منها للحديث مسألة أجور العاملين . . أختارها بالرغم من أن من بين ما أضطر لتركه لضيق المجال ولسبق معالجته فى ظروف ماضية أمورًا مهمة ، مثل الإنتاج ، وما أدراك ما الإنتاج ، وما تم إنجازه من أعمال ضخمة تنعش الروح وتبعث الأمل . وما قيل من تمسك وإيمان بالديمقراطية ، وتنبيه الشعب إلى واجبه حيال نقص مياه النيل ، بالرغم من ذلك كله أختار مشكلة الأجور ، لأنها فى نظرى تكمن وراء أكثر ما نعانى منه فى حياتنا من سلبيات حاقت بالإنتاج والخدمات والحياة السياسية والأخلاق والانتماء . . إلخ .

فقد كان من المفارقات المثيرة للشجن أن سياسة الثورة على مدى أطوارها المتعاقبة رفعت مستويات فئات كثيرة من الشعب : فَلّاحيه وعماله وحرفييه ، بل ومغامريه وانتهازييه ، وكأنها حاصرت موظفيها فى نطاق مرتبات محدودة عجزت منذ زمن طويل عن مواجهة أعباء الحياة . . إن إنصاف هذه الفئة التى تمثل صفوة الأمة لايعد مجرد عمل إنسانى نبيل ، ولكنه أيضًا إعادة التوازن والاستقرار النفسى للعقول والأيدى التى تقوم بالتنمية الشاملة أو النهضة المرتقبة ، والتى ينعكس إحباطها فى

تعاملها مع الشعب فى شتى المصالح والمراكز . . فإنصافها ليس إنصافاً لفئة ، ولكنه بعث للقوة الدافعة للعمل والخدمات العامة ، بل إن إنصافها هو الخطوة الأولى الحاسمة نحو تطهير حياتنا من ألوان الفساد المعروفة ، كالتسيب والإهمال والرشوة والاستغلال والتقهقر الثقافى .

حذارِ أن تعتبروا مشكلة الأجور مشكلة هامشية أو حتى مجرد عاطفية أمنية ، إنها ذلك كله ، بالإضافة إلى أنها أساس العمل وطاقته وضابطه وأمله .

١٢ / ٥ / ١٩٨٨

تساؤل غير خبير

أراقب ما يدور حول شركات توظيف الأموال بتعجب ، وأتابع ما يتخذ بشأنها من خطوات بتساؤل ودهشة ، ولو كنت من أهل الخبرة فى الموضوع ـ أو حتى من ضمن المتعاملين لأمكن أن أدلى برأيي ، ولكنى أكتفى بالتساؤل . إن تكن شركات توظيف الأموال بالحال التى توصف بها ، فلا ضمان لها ولا ضابط لمغامراتهم ، فكيف وثق الناس فيها وسلموها مال العمر كله بدون قيد أو شرط ؟ . وإن تكن على تلك الحال التى تُوصف بها فكيف بدأت عملها فى ضوء الشمس ، وكيف مارسته حتى تعملقت وتمادت فى الطول والعرض ؟ . أين كانت الدولة ؟ ولِمَ استيقظت فجأة لتطبق مبادىء ما كان يجوز أن تؤجل تطبيقها ساعة واحدة ؟ وما معنى هذا التردد بين العنف واللِّين ، وبين الإقدام والتعقل؟ .

وبعد فما يجوز أن نناقش حق الحكومة فى حماية المال العام والخاص ، بل هو واجب من أوجب واجباتها نحو الأفراد والجماعات والاقتصاد القومى ، ولكن على الحكومة أن تكون دائماً عند حُسن الظن بها ، وأن يتنزه سلوكها عن المناورة والغرض ، وأن تنفذ رعايتها الاقتصادية فى نطاق الحكمة والعدل ، ودون مساس بمصالح المودعين أو حساسية المستثمرين الذين ندعوهم إلى العمل فى بلادنا تحت مظلة الاستقرار

وسيادة القانون . ومن عجبٍ أن الموضوع قد بُحِثَ فى مجلس الوزراء ، وتقرر بحثه فى الحزب ، ولكن لم يفكر مسئول فى دعوة القائمين على الشركات أو نخبة من المودعين للاستماع إلى رأيهم ومناقشتهم .

أتمنى أن نصل إلى الإصلاح المنشود لأى مشكلة بدون أن نضطر إلى العبور إليه على جسر من الأخطاء .

١٩٨٨ / ٦ / ٢

بين الفناء والبقاء

نحن على درجة من التخلف لا يجوز أن يقبلها شعب كريم . هذه حقيقة تتجلى مثل نور الشمس المحرقة فى يوم قائظ لدى أى مقارنة مع العالم المتقدم فى شتى جوانب الحضارة ، ولو مَضَت الفجوة بين العَـالَمَيْنِ تتسع بنفس المعدل فلا يبعد أن يقضى علينا بالفناء أو بأن نعمل فى خدمة المتفوقين كما يعمل الحيوان فى خدمة الإنسان . إنهم يقتحمون الفضاء ويتغلغلون فى جوف الذَّرَّة ، ويتطلعون إلى التحكم فى الوراثة ، ومازلنا نتعثر فى بناء هياكلنا الأساسية ، ونجاهد بشق النفس لنيل حقوق الإنسان ومقاومة التهرؤ والانحلال . إن كثيراً من أحلامنا الذهبية لم تعد بالقياس إليهم إلاَّ أشباحَ أساطير لعصور مظلمة مضت وانقضت .

والشعوب قد تغفو ، وقد تخنع ، وقد تهادن ، وقد تتصبر ، ولكن الحياة لا ترحم ، والزمن لا يُجامل ، وحفريات الكائنات المنقرضة خير شاهد على ذلك ، فَمِنْ منطلق الدفاع عن النفس والتشبث بأهداب العزة والكرامة أدعو الأحزاب أن تواصل لقاءاتها ، وأن توسع من دائراتها بضم الأحزاب غير القانونية ، بالإضافة إلى أهل الخبرة من أساتذة الجامعات وقادة الرأى ورؤساء النقابات ، أدعوهم إلى تفحص حال وطنهم ونقد واقعهم ، والنظر إلى مستقبلهم على ضوء ماضيهم وعلى ضوء مستقبلهم ، لعلنا نخرج من ذلك كله بمقترحات وتوصيات تكون

هُدًى لنا نستضىء به فى جميع ما يتعلق بشئون الحكم والحياة . ويحضرنى كمثال لذلك المؤتمر الوفدى الذى انعقد أياماً متتابعة فى أعقاب حُكم إسماعيل صدقى ، وتشكلت داخله لجان للسياسة والاقتصاد والتعليم والثقافة إلخ ، وتكشف ذلك عن كتاب إصلاحى يتفق وآمال ذلك الزمان المتواضعة .

يجب أن نفعل شيئاً ، فنحن هذه المرة مهددون بالفناء ، أو بما هو أشنع منه ، والعدل فى هذه الحياة يتحقق ، سواء بنا أو علينا . فلنلحق بركب التقدم قبل أن نصير مثلاً من أمثلة التاريخ المأساوية .

١٩٨٨ / ٦ / ٢٣

دعـوة للحيـاة

فقدنا الدهشة ، فقدنا الانزعاج ، فقدنا الاهتمام . تلاشت صفات نبيلة كثيرة فى حصار الخوف والقلق على لقمة العيش ، نحن نعيش فى عصر اللقمة ، يرتعد أناسٌ خوفاً من العجز عنها ، ويشك آخرون فى دوام القدرة عليها ، وحتى أصحاب الملايين يتلفتون فى توجس ، ويتفق الجميع فى الاغتراب عن عالم الإنسان وقيمه السامية ومسراته الهادئة .

ومن حولنا تتحقق منجزات كبيرة وإصلاحات أساسية ، وتواصل قلة مخلصة صادقة العمل ليل نهار ، ولكن العمل الطيب كالعمل الخبيث ، يمضيان والناس فى شغل شاغل بهمومهم الذاتية . تمر بنا الأحداث أو نمر بها بدون رد فعل أو صدى فى الوجدان ، أو رجع فى التأمل والتفكير . وتهددنا كوارث كونية ومصائب اجتماعية فنرددها لحظة ثم نتحول عنها غير عابئين ، لا نفكر فيها بجدية ولا نطالب غيرنا بالتفكير، وكأنها تلوح على مسرح فى ملهى ، أو تومض فى ذاكرة تاريخ قديم .

متى تجيء اليقظة ؟ متى تتفجر ينابيع الحياة ؟ متى تُستأصل جذور الخمود والسلبية ؟ متى تشتعل الجمرات تحت الرماد ؟ إنها دعوة للحياة، . موجهة أولاً وأخيراً إلى الذات ، لا تطُلب عوناً من قوة خارج

الذات . إنَّ ما تقوم به الدولة بطبعه طويل المدى . اطلب العون من ذاتك . لديك إرادة تقول للشيء كن فيكون . لا سبيل إلى تجاوز واقعنا إلا بإرادتنا الحرة . والتحديات قد تقتل الضعفاء ولكنها تخلق الخالدين .

١٩٨٨ / ٨ / ٤

الأمانة التى حملها الإنسان

كيف تحل اليقظة محل الاسترخاء ؟ كيف ينهض شعب ليغير دنياه ويقرر مصيره ؟ تحدثنا علوم الإنسان فى ذلك عن دور الاقتصاد والسياسة ، عن دور الأحزاب والزعامات القادرة ، عن تأثير التربية والإعلام والفنون والأدب ، وكل أولئك عوامل ضرورية لا غنى عنها ، ولكن أليس للفرد دور فى هذا المجال المبدع الخطير ؟ بلى ، إن له لَدَوْرًا ، وإلاَّ تعين عليه أن ينتظر كما ينتظر الجائع أن تمطر السماء ذهباً وفضة .

يستطيع الفرد أن يقتلع جذور السلبية من ذاته ، وأن يوطن نفسه على الاعتماد على النفس ، إنه برغم الظاهر ممكن إذا اختاره الإنسان الحر وفتح به طريقاً جديدة لحياته ، عليه أن يبدأ بسؤال نفسه : ماذا علىَّ أن أفعل ؟ قبل أن يلوذ بالسؤال التقليدى : ماذا ستفعل الحكومة ؟ لا أعنى أنه بوسعه أن يحل المشكلات بنفسه ، ولكنه حتماً سيألف التفكير فى إيجاد الحلول لها ، وإذا لم يجده ذلك فى أغلب الأحوال فإنه يشده إلى التفكير العام ، ويهيئه للمشاركة والانتماء .

وعلى الفرد أن يعلم أنه يملك قوة هائلة يوهنها الكسل ، ويبددها الإهمال ، هى إرادته الحرة ، هى الباعث لقوى خفية تزخر بها نفسه على غير شعور منه ، ويمكنه بحسن استعمالها أن يحقق أفعالاً قد يعتبرها المتواكلون من المعجزات ، وما بين غمضة عين وانتباهتها تتغير أحوال ،

وتنقشع ظلمات ، وتتلاشى أوهام ، ولكن لا جدوى من ذلك كله إذا لم نعتبر الحياة جدًّا ونضالاً .

إن قِصَرَ الحياة وتخايل شبح الموت وحُب السلامة واللهفة على اقتناص اللذة تغرى كثيرين بتصور الحياة لهوًا ولعباً وانتهازية ، حتى جعلوها ملاذًا للجبناء والكسالى ، ولكنها لا تكون حياة جديرة باسمها المبارك إذا لم نعتبرها جدًّا ونضالاً . فلنحرك عوامل الاقتصاد والسياسة والتاريخ ، ولا نَقْنَع منها بموقف الصابر المنتظر .

١١ / ٨ / ١٩٨٨

السلوك فى وقت الشدة

إذا تراكمت المشكلات ، واستعصت على الحلول القريبة ، وإذا شق على العمل الصادق وحده تنقية الجو من كدر الإحباط ، وجب على الناس أن يعيدوا النظر فى موقفهم . ليست هذه دعوة إلى ائتلاف يمس جوهر الديمقراطية ، ولكنها دعوة إلى تبادل الرأى بمعزل عن الخصومة الحزبية المشروعة ، وفى مناخ وطنى علمى موضوعى تقتضيه الشدة ويحتمه التطلع إلى الفرج .

ومن حقى أن أسأل فى هذا الموضع عن مؤتمر الإنتاج الذى أملنا خيرًا من وراء انعقاده ، فأين هو ؟ ليس الإنتاج بالمطلب القابل للنسيان أو التأجيل ، ولعله الأمل الأول لنا عند مواجهة التحديات والأزمات التى جعلت من الحياة توترًا مستمرًا . إذا تعذر قيام جبهة وطنية شاملة فلعلَّ مؤتمرًا يجمع بين أهل الخبرة والعلم يكون البديل والعوض ، وبخاصة إذا انطلق فى بَحْثِهِ من البحوث القيمة التى قدمتها المجالس القومية . وما علينا بعد ذلك إلاَّ أن نكرر التجربة مع سائر المشكلات ، مثل الانفجار السكانى ، والديون ، والبطالة ، والغلاء ، وغيرها .

ليكن لكل مشكلة مؤتمر ، وليكن لكل مؤتمر توصيات ، وليكن للتوصيات جدول زمنى للتنفيذ ، وحتى إذا لم تقتنع حكومة الأغلبية

بجميع التوصيات فقد تقتنع ببعضها ، وتستشف من ورائها رغبات صادقة ربما غابت عنها فى زحمة العمل . وما أجدر أن يجىء كل مؤتمر ممثلاً للعِلْم والخبرة وشتى الاتجاهات ، وأن تمثل به الأجيال المتعاقبة ، فى النهاية عن الحاضر والمستقبل معًا .

١ / ٩ / ١٩٨٨

بين التصدى والهروب

الفكر الإنسانى حر ، يجول فيها شاء كيف شاء ، ولكنه مُطالَبٌ أولاً أن يعيش عصره ويواجه تحدياته ، وعند ذاك نجد الفارق بين من يتصدى للحياة ومن يلوذ بالهَربِ إيثارًا للراحة . وما تاريخ الحضارة إلاّ سجل من الأسئلة يطرحها الواقع على الإنسان ، ليجد فى الأجوبة الصائبة عليها تحقيق ذاته وإثراءَ حياته . تساءل يوماً عن مصادر غذائه ، وعن سلوكه فى الدنيا ، وبقائه فى الآخرة فى ظل الألوهية ، وتساءل كيف يعبر الصحارى والمحيطات ، وعن الشر وحكمة وجوده ، وعن الجبر والاختيار ، وعن الحكم والأمن والعدل ، إلخ إلخ .

ولا يعنى انقضاء عصر بأسئلته وأجوبته أنه اجتث من جذوره ، ولكن الإنسان قد يكتسب من كل عصر خبرة قادرة على البقاء مدى العمر ، وتتراكم الخبرات ، ولكن يظل التركيز الأول فى كل عصر على الأسئلة التى يوحى بها واقعه وتطوره ، فما هى الأسئلة المطروحة علينا اليوم كأمة نامية تعيش فى هذه الفترة من الزمن ؟ لعلها يجب أن تدور حول هدف واحد يمكن أن نلخصه فى جملة واحدة هى «التنمية الشاملة» . جملة صغيرة ولكنها واسعة المضمون ، تشمل التوازن الاقتصادى ، والنهضة الزراعية والصناعية ، والثورة العلمية ، وتعمير الصحارى ، والمحافظة على البيئة ، وإصلاح التعليم والثقافة ، والتربية

الدينية ، والصحة ، والدفاع ، والانفجار السكانى ، وترسيخ الديمقراطية ، والوحدة الوطنية ، وحقوق الإنسان ، فإذا أردنا أن نستوثق من أننا نعيش عصرنا ونعمل ليومنا وغدنا ، فلننظر إلى الهموم التى تشدنا ، والأسئلة التى تشغلنا ، هل نعيش الحياة حقًّا أو أننا نلوذ بالهروب لأسباب مرضية إلى عصر أسئلة مضت وانقضت ؟ أو نَثِبُ إلى أسئلة عصر لم تطرح نفسها بعد ؟ وما أريد حجرًا على الفكر ، أو استهانة بأى خيال ، ولكنى أدعو أوّلاً للتصدى والمواجهة .

١٩٨٨ / ٩ / ١٥

الانفجـــار

قيل فى عواقب الانفجار السكانى ما يغنى عن العَوْدِ إليه ، فكيف نواجهه ؟ . لنطرح سؤالاً آخر : لماذا يحرص أناس على كثرة الذرية ؟ والجواب : إنهم يحرصون على ذلك كوسيلة طبيعية لمقاومة الفناء الذى يهددهم بالأوبئة ، وموت الأطفال ، وغير ذلك ، أو احتراماً لتقاليد التاريخ والبيئة ، أو استكثارًا للأيدى العاملة التى يحتاجون إليها فى معيشتهم ، أو لضيق أُفق المسرات فى حياتهم ، فلا يبقى لهم إلاَّ العزاء الجنسى .

ولعلاج ذلك توجد وسائل متعددة ، منها : الدعاية المباشرة ، ولعلها أضعفها أثرًا ، وإنْ كنا لا نرى بأسًا من مواصلتها والإلحاح عليها ، أمَّا العلاج الحقيقى فلعله يتيسر بالاهتمام بما يأتى .

أولاً : التركيز على رفع مستوى المعيشة ونشر الخدمات العامة ، وخاصة الصحية ، واستغلال إمكانات العمل فى أرضنا بكل سبيل ، وهو ما تُعقد عليه الآمال من خلال تنفيذ الخطة الشاملة .

ثانياً : نشر التعليم والثقافة على أوسع نطاق . ومما يُذكر هنا أن المتعلمين المثقفين اتجهوا نحو تنظيم الأسرة من قديم ، وحتى من قبل تبلور مشكلة السكان فى حياتنا .

ثالثاً : علينا أنا نعد الفائض من شبابنا للهجرة بتأهيله مهنيًّا وحرفيًّا تبعاً لاحتياجات البلدان الخارجية ، وأنْ تُرسم لذلك سياسة واعية لتنظيم العملية بين الداخل والخارج .

وهناك وسائل صارمة لجأت إليها بعض الدول ، نرجو أن نعالج مشكلتنا بدون الاضطرار إلى اللجوء إليها ، على أن الدفاع عن النفس قد يقتضى الإنسان تضحيات غالية .

١٩٨٨ / ٩ / ٢٢

الثقافة والحياة

الثقافة أهم وسيلة نعتمد عليها فى تحقيق ذواتنا وحياتنا ، أعنى هنا بالثقافة ما يحصله الإنسان فى صراعه مع البيئة من عادات وتقاليد وأفكار وعقائد وأذواق . هى متحركة نامية ، كما أن الحياة متحركة نامية ، لا تثبت على حال ، وإلاَّ تجمدت وانقلبت عبئاً ينوء به الإنسان ، بدلاً من أن تكون قوة دافعة ، وروحاً ملهمة ، ولذلك فإن انفتاحها على الثقافات الأخرى ضرورة يمليها تقارب البشر واختلاطهم ، ليس فقط من أجل التفاهم ، ولكن أيضاً من أجل تبادل الخبرات والفوائد ، وإتاحة الفرص لانتخاب الأصلح للبقاء ، ثم من أجل الوحدة البشرية فى النهاية .

كثيراً ما نتكلم عن الغزو الفكرى فى سياق المحافظة على الهوية ، وكما أن الغزو لا يصلح أن يكون هدفاً فى ذاته فالهوية لا يمكن أن تكون مثلاً أعلى فى جميع الأحوال . المسألة التى يجب أن تُقدم على غيرها هى : كيف ينبغى أن تكون حياتنا فى عصرنا ؟ ماذا يلزمنا من عناصر الوجود لكى نبقى ونتقدم ونتغلب على مشكلاتنا ونحقق المثل الأعلى المتاح لنا ؟ أساس الاختيار هو الحياة نفسها وما يجب أن تكون عليه من تقدم روحى ومادى يحقق للجميع الكمال والسعادة الممكنة فى هذه الحياة . لا قيمة لهويتنا الأصلية إذا لم نحقق ذلك ، ولا قيمة لثقافة الغير إذا لم تحقق ذلك .

الكمال المنشود هو الهدف ، وجميع السُّبُل المؤدية إليه صالحة ، بصرف النظر عمّاً تكون أو كيف تكون ، يستوى فى ذلك أن تكون كلها أصيلة ، أو كلها معاصرة ، أو بين بين ، أو أن ينبثق منها مولود جديد لا عهد للعالم به . إنه كفاح مستمر ، منطلقه بطبيعة الحال تراثٌ عريق ، واعتماده بعد ذلك على العقل والإرادة والواقع .

١٩٨٨ / ١١ / ٢٤

العمل أمانة

نحن مطالبون بالعمل فى كل حين ، كأنما هو الأمانة التى حملناها فى هذه الدنيا لتعميرها . وفى هذه الفترة بالذات من حياتنا يصبح العمل فريضة لايجوز أن تغيب عنا لحظة واحدة .

ولعله لا يكفى أن نلتزم بالعمل ، بل علينا أن نحبه ، فليس مثل الحب طاقة ودافعًا ، بل لايكفى أن نحبه ، فمن حُسْن الطالع أن نحبه أكثر ولو درجة واحدة من الثمرة المرجوة منه . حقًّا ، إن الثمرة حق مشروع لكل عامل ، ولكن شد ما يتعرض الإنسان للمحن إذا أحبها أكثر من العمل نفسه ، عند ذاك يمسى العمل مجرد وسيلة ، وربما ـ عند الإحباط أو الضيق ـ استبدل الإنسان وسيلة بأخرى ، فينزلق للتشتت أو يتهاوى فى الضياع .

ولعل حب العمل أكثر من ثمرته هو الذى سَنَدَ العَبْدَ لله فى سنوات طويلة من الإحباط لم تَلحْ له فيها بارقة أمل ، لكننى وجدت فى العمل غاية تُغْنِى عن أية غاية ، وبرغم المرارة أحياناً فلم تخل الحياة من بهجة وتطلع ونشاط . من هنا يكتسب الصبر معنى جديدًا ، فلا يعنى الرضا بالواقع بدون قيد أو شرط ، ولكنه يعنى العكوف على العمل ، والعمل وحده ، مع الإيمان المطلق به وبالقيم السامية فى الحياة . هو صبر إيجابى

لا سلبى ، متحرك غير جامد ، متوكل لا متواكل ، لا يضَع فى حسابه الحظ أو الخرافَة . هو صبر ديمقراطى أيضًا إنْ صَحَّ هذا التعبير ، ينظر حوله بعين فاحصة ، ينقد ويعارض بلا حقد ، يقول للمحسن أحسنت ، كما يقول للمسىء أسأت ، ينكر الانتهازية ، ويحتقر الوسائل غير المشروعة ، ويترفع عن الصغائر ، ويتحمل العناء ، ولكنه يرفض الهزيمة والضياع ، فلا تعجب إذَا قَيَّضَ له الله أن يكتسح فى طريقه الانتصارات الرخيصة ، والنفايات والبهارج الكاذبة .

١٩٨٩ / ٢ / ٢

العقل فى الحياة اليومية

من أمراضنا العقلية الشائعة أننا نفكر كثيرًا بعواطفنا ونحن لا ندرى، ومما يضاعف من خطورة الظاهرة تفشيها بين المتعلمين ، بل والمثقفين . وإليك مثلاً :

التسرع فى الحُكم والانطلاق فيه من مسلمات واهية بلا تدبر واختبار، وبدون روية أو فحص ، وبلا أى دليل ، ثم نستخدم العقل فى تأييد مسلماتنا العاطفية ، وانفعالاتنا وأهوائنا ، فنخلق من لاشىء حقائق وهمية ، ولا نكتفى بذلك ، فنستخرج منها استنتاجات ، ونتخيل مؤامرات وأشباحاً ، ونعيش فى النهاية فى عالم زائف من صُنع أوهامنا ، لا يمت بسبب للحقيقة ، ونكون نحن أُولَى ضحاياه .

ما أكثر صيغ التأكيد واليقين فى مناقشاتنا . . يبدأ القائل بقول : «مما لاشك فيه » ، أو «على وجه اليقين»، أو «مما لا يختلف فيه اثنان» ، ثم يمضى فى بناء خطابه طوبة فوق طوبة بدون تدبُّر للأساس الذى يقوم عليه ، وقد يرجع الأمر كله إلى مجرد إشاعة ، أو رأى متداول أملاه الخصام ، أو التمنى ، أو الكبرياء . وعلاج هذا الداء لا ينجح بدايةً إلاَّ إذا بدأنا من التربية الأولى التى تقوم على إيقاظ التفكير لا الحفظ ، ولكن للإعلام دوره فى ذلك ولاشك . ومثلما يعالج أمراضنا المتوطنة وغيرها بوسائله المتنوعة المباشرة والدرامية فعليه أن يتصدى لأمراضنا العقلية

ليدعو الجمهور إلى احترام العقل والموضوعية ، والحذر من قوة الانفعالات والعواطف الذاتية .

ولعل ذلك يكون منطلقه إلى بث روح المنهج العلمى برفق وهوادة ، وتعويد الجماهير على إشراك العقل فى حياتها اليومية . إنْ يكن للقلب مجاله فللعقل مجاله أيضاً ، ولا ينتج من الخلط بينهما إلاَّ الفوضى .

١٩٨٩ / ٢ / ٢٣

حول الإنتاج

لعلك تذكر ما ينشر بين حين وآخر عن نصيب الإنتاج من جهدنا البشرى ، وأرقامه ولاشك تدعو إلى الأسى الشديد ، وبخاصة عند المقارنة بالآخرين . ويضاعف من الأسى ما أصبحنا نؤمن به جميعاً من أن الإنتاج هو أملنا الأول للخروج من قبضة المعاناة ، وزحزحة التحديات الثقيلة الرازحة فوق صدورنا . وقد وعدنا أكثر من مرة بعقد مؤتمر للإنتاج ، وتمر الأيام ، وتتكاثر المؤتمرات ، ولا ينعقد المؤتمر المنشود . والحق أننى لا أسلم بنسبة الإنتاج المنشورة باعتبارها مقياس همة العاملين فى أمتنا ، الأمر الذى يُناقض الواقع والتاريخ ، وما عُرِفَ عن شعبنا من صَبر وجَلَد .

ولعلنا نعثر على تفسير حين نتذكر أن المُواطِن محدود الدخل لايبذل فى عمله الأصلى إلاَّ بعض جهده ، محتفظاً بالباقى لعملٍ جانبى يسد به رمقه ، فجماع ما يبذله لتحصيل رزقه لايقل فى حجمه وقوته عن إنتاج الآخرين ، ولكنه مشتت بين عملين .

والدولة تغضى عن سلوك العاملين ، لأنه لا يسعها أن تمنح رجالها المرتبات العادلة الكافية لتفرغهم لواجبهم الأول ، ولكنها تستطيع أن تحتم عليهم الأداء الكامل لعملها نظير الإغضاء عن القيام بعمل إضافى للضرورة التى لا يجادل فيها إنسان .

ولابد من المراقبة الجادة والمتابعة ، وإقامة نظام الحوافز على أسس جادة ، ولابد أن تجعل الدولة من نفسها قدوة حسنة فى الطهارة والانضباط والتقشف .

أما على المدى الطويل فلعل الذين يخططون لتجديد التعليم يركزون على ما يخلق من المواطن فردًا جادًّا ، منتمياً لوطنه ، مقدسًا للعلم والعمل والقيم السابقة وهو واجب الإعلام والدعاة أيضاً . وسنجد فى الدين والتاريخ ما يؤيد مطالبنا ويحقق أهدافنا ، ولن تعيقنا سوى الظروف ، فسوء الظروف مدعاة لمضاعفة الجهد والهمة .

١٩٨٩ / ٣ / ٢٣

الشهرة

هل تحب الشهرة ؟ . ولكن ينبغى أن تفهم معنى الشهرة ؟ . الشهرة الحقيقية أن يُعرف المرء لدى من يفهم عمله ويقدره ، وهى بهذا المعنى تعنى التوفيق فى العمل والفوز بتقدير عارفيه ، فلا يمكن أن يزهد فيها إلاَّ من يزهد فى التوفيق والنجاح . وهى كما ترى نسبية ولا يمكن أن تكون مطلقة ، فمجال شُهرة العالِم محدودة بالعلماء الذين يشاركونه تخصصه والعلماء المتصلين بتخصصه وطُلاَّبه ، على حين أن شهرة «المونولوجست» مثلاً تمتد لتشمل الملايين من البشر ، لذلك لايصح أن نأسى لضيق مجال شهرة العالم بالقياس إلى «المونولوجست» طالما أن كُلاًّ منهما قد بلغ القمة فى مجاله ، ولا ملامة على الجمهور العريض إذا عرف أحدهما وجهل الآخر ، فكل فريق يهوى من يعرفه ويتعامل مع إنتاجه .

ولا وجه لاتهام الجمهور الكثيف فى تلك الحال بالجهل أو الجحود ، فالهوى هنا دليل على الوفاء لِمَنْ تحب أو لمن تسع قدراتك أن تحبه ، وعلى أى حال فالشهرة لا تنطبق فى جميع الأحوال على القيمة ، ويظل العلم فوق قمة الأنشطة الإنسانية وإنْ حَظِىَ رجاله بأقل مساحة من الشهرة العامة ، وفضلاً عن ذلك فالعدل يتحقق بطريقته ، فقد تدوم الشهرة المحدودة أجيالاً وأجيالاً لقوة إبداعها ، وأثرها المتجدد فى المعرفة والحياة، وقد تتلاشى الأُخرى فى الجيل الواحد نفسه .

أقول ذلك لمناسبة ما قيل عن تكريم بعض الرياضيين الأفذاذ المحبوبين ، فما أغدق الجمهور عليهم إلا من منطلق حُبه وحريته ووفائه، بدون أن يضمر أى بَخْسٍ لِقَدْرِ العلم والعلماء .

١٩٨٩ / ٣ / ٣٠

ثورة فى التعليم

ما من شك فى أن وزير التربية والتعليم يفكر فى مشكلة التعليم من منطلق ثورى . وما من شك فى أن هذه الثورة إذا قيض لها النجاح فسوف تسهم إسهاماً أساسيًّا فى تشكيل مستقبل جديد للأمة العربية . وما من شك فى أن ثورة مستنيرة فى ميدان التربية والتعليم لا يقتصر أثرها على مجال التربية والتعليم ، ولكنها تمتد تلقائيًّا لتأجيج ثورة فى مجالات الإنتاج والسياسة والاجتماع ، والصحة والثقافة والرياضة ، والأسرة والانتماء ، والعلاقات بين الأفراد ، والرؤية العامة نحو الإنسانية والكون .

إنَّ من يقود ثورة فى التربية والتعليم فإنما يجدد الأساس ليقيم عليه عالماً جديدًا من الدين الحقيقى الذى يطالبنا بالعبادة الحقة وتعمير الدنيا، واحترام حقوق الإنسان ، وتقديس العلم والعمل ، وفتح الصدر لاستقبال كل ما هو جليل وجميل فى الكون والحضارات .

إن من يقود ثورة فى التربية والتعليم إنما يعمل على بعث العقل من رقاده ، واستنفاذه من ميكانيكية الصم لينطلق فى عالم الخلق والإبداع والديمقراطية . إنه يعمل بِهِمَّةٍ ليخلق للثقافة عشاقاً ومريدين ، وللوطن والوحدة الوطنية مخلصين ، وللإنسانية عمالقة مبدعين ،

وللرياضة أبطالاً مجيدين ، ولتحديات الحياة جبابرة مصارعين ، وللتضحية والتضامن فدائيين ، إنه فى كلمة يعمل على خلق أُناس يحبهم الله ويحبونه ، فيعملون لدنياهم ما يؤهلهم للقائه فى آخرتهم . فلندعُ للوزير الثائر بالتوفيق ، فالدعاء له فى ثورته هو دعاء لمصر والإنسانية .

١٩٨٩ / ٤ / ٢٠

الروح الرياضية

لا مغالاة ثَمَّةَ إذا ألحقنا الرياضة بالفنون الجميلة . هى تربية صحية للجسم الإنسانى ، وبالتالى للعقل والروح ، وتفصح بطريقتها عن بعض ما يملك الفرد من مهارة ورشاقة ، كما تكشف عن مضمون شخصيته الفردية والاجتماعية والأخلاقية .

ولكنها ـ بخلاف الفنون ـ واجب شامل ، يجب أن ينال كل فرد منها حظه فى الوقت المناسب ، خدمةً لأجهزته الجسدية ، ورعاية لصحته ، ومتعة نقية لنفسه . وهى تحظى بجمهور واسع فى جميع الأمم ، يحبونها حُبًّا جَمًّا ، ويغدقون على أبطالها الإعجاب والحب بحماس سليم ، وتعلُّق هو فى صميمه تعلق بالمهارة والتفوق والجمال . وليس من العدل فى شىء أن نسخر من الإقبال عليها ، ونحن بصدد التأسف على فتور الاهتمام بأنشطة أخرى ، فاللوم هنا لا يقع على الرياضة ، ولكن على نقص التربية وسوء المناخ الذى يصد الكثيرين عن التعلق الصادق بالثقافة والسياسة والمعرفة العلمية .

ولكننا بقدر ما نحب الرياضة بقدر ما نفتقر إلى الروح الرياضية . وما الروح الرياضية ؟ . هى أن تحب الرياضة وأبطالها بدون تعصب أو غضب أو شماته أو حقد . أن تكون الرياضة هدفك ، وفى مهارتها إشباعك ، وفى متابعتها متعتك ، بصرف النظر عن المكاسب والخسائر.

وقد يستحق كِلاَ الفائز والخاسر الإعجاب ، ولا يثير النفور إلا المهمل والكسلان والمتخاذل والمتحايل على القانون . وقديماً كنا نقول لمن يتعرض لهزيمة أو خسران : «تعامَلْ مع حظك بروح رياضية » ، ونعنى بذلك المحافظة على الخُلُق الطيب فى وقت الخسارة كما نحافظ عليه فى ساعة الفوز .

بتلك الروح يجب أن نتابع المباريات فى الداخل والخارج ، وعلى المستويين المحلى والعالمى ، لكى نكون عشاق رياضة لا مضاربين على النصر . ولعلنا نحتاج إلى هذه الروح فى الرياضة وغيرها .

١٩٨٩ / ٤ / ٢٧

مواجهة المشكلات

سينعقد المؤتمر العام للحزب الوطنى فى أوائل يولية ، وقرأنا فى الصحف أنه سيُخصص هذا العام لمناقشة موضوع واحد ، هو قضية البطالة ، أبعادها وأساليب علاجها ، ونحن من ناحية المبدأ نرحب بذلك ، ونتمنى للمؤتمر السداد والتوفيق . غير أننا نرى المشكلات مشتبكة متداخلة لا تستقل إحداها عن الأخرى ، فالاستقرار ، والديمقراطية ، والديون ، والإنتاج ، ونزاهة الإدارة ، والمخدرات ، والإسراف ، والتزايد السكانى ، كل أولئك وحدات فى بناء واحد ، وربما لا تزيد البطالة عن أن تكون ثمرةُ مرة لخلل فى وحدة أو أكثر ، لذلك كنا نأمل أن يعنى المؤتمر بالمشكلات جميعًا ، وأن تجىء عنايته بها كمراجعة شاملة للخطة الخمسية الأولى وبداية الخطة الثانية .

قد يقال إن المشكلة المطروحة خطيرة ويتعلق بها مستقبل الشباب ، وهو عماد الحاضر وأمل المستقبل ، فالتركيز عليها واجب لايقبل التأجيل ولا يحتمل المشاركة ، ولكن مشكلاتنا لي بالجديدة ، بل هى محور كل خطة وكل موازنة ، ودراستها لا تتوقف مذ فرغنا لهمومنا الداخلية ، وإذن فمناقشتها لن تبدأ من الصفر ، وبحثها ستكون من قبيل المراجعة الشاملة والنقد الذاتى ، واقتراح ما يعن من تعديلات أو إضافات .

وآمل أن تنهض أحزاب المعارضة لعقد مؤتمرات مماثلة للمراجعة والبحث واقتراح الحلول . إن مصر فى هذه الفترة من الزمن فى حاجة إلى كل عقل ينشغل بمشكلاتها ، أو قلب يخفق بهمومها ، ولا عذر للتردد أو الأنانية ، أو اللامبالاة .

١٩٨٩/٥/١١

بين الكهف والعلم

حملت إلينا جريدة الأهرام أنباء ثورة علمية فى مجال الطاقة عن نجاح تجربة للاندماج النووى لإنتاج طاقة رخيصة بدون تلوث إشعاعى ، ولا تأثير على طبقات الأوزون . . تجىء الثورة فى الوقت الذى يحتشد فيه علماء كثيرون للتصدى للأخطار المحدقة بكوكبنا الأرضى ، فيصدرون وصايا مهمة للمقاومة والوقاية . ولمناسبة الأخطار أخذ قوم يعلنون سوء ظنهم بالعلم والتكنولوجيا ويحذرون من العواقب المهلكة . ولا يمكن إنكار العواقب السيئة ، مثل مخلفات الصناعة ، ونفايات المفاعلات الذرية ، والقنابل النووية ، والأسلحة الكيماوية ، وإنْ رَجَع أغلبها لسوء استغلال العلم ومكتشفاته لا إلى العلم نفسه . ونذكر هنا ما سيتاح لوسائل الإعلام الحديثة من اقتحام بيوتنا بلا استئذان من سُلطة أو رقابة مزلزلة لتقاليد وحضارات راسخة .

ومهما يكن من أمر ، فلا سبيل إلى مصادرة التطلع البشرى إلى المعرفة، أو إيقاف الاكتشاف عند حد معين ، أو فى نطاق وصاية محددة، ولن يعنى هذا استسلاماً لمصير مظلم ، فمما لاشك فيه أن العلم يصحح نفسه بنفسه ، وينقى نتائجه من الشوائب . غير أننا فى عصر العلم مطالبون بالتحلى بالرؤية العلمية والثقة بالنفس ، كما أنا مطالبون بالتربية الصحيحة عقليًا وأخلاقيًا . نحن مطالبون بتربية عقولنا على

الاستقلال والنقد ، مستندين إلى مبادىء سامية ، لنستطيع أن نلاقى حضارة تتجه نحو التوحد والشمول ، لاتجدى معها رقابة ولا تقوقع ، ولا الاختباء فى كهف . طوق النجاة هو العقل المستقل الناقد ، والخُلُق المُؤَيَّد بالمبادىء السامية ، وهما السبيل إلى الحياة الكريمة فوق هذا الكوكب فى هذا العصر .

١٨ / ٥ / ١٩٨٩

نحو حياة علمية أفضل

لسنا خارج عصر العلم ، ولكننا لم ندخله بعد كما ينبغى لنا ، يجب أن يشغل من الاهتمام والعناية ماهو أهل له ، باعتباره محور الحياة الحديثة . الأمر لايجوز تأجيله أو التساهل فيه ، فنحن فى عصر العلم ، ولا سبيلٍ لنا إلى نهضة حقيقية نحل بها مشكلاتنا ونطور وجودنا ونقهر تخلفنا إلاَّ بالعلم . طالما قلنا : إن حضارتنا يجب أن تقوم على الإيمان والعلم ، والصحوة الدينية تبشر بتسديد الخُطَى فى مجال الإيمان من خلال ثورة التعليم والحوار المحتدم فى مجتمعنا ، ولكن على العلم أن يحظى بنفس الحماس والرعاية . ونحن بحمد الله لدينا كليات للعلوم كثيرة ، ولدينا كوادر علمية متخصصة متوافرة ، وعندنا وزارة للبحث العلمى ، والكثير من المشكلات يُكَلَّفُ الباحثون ببحثها و إيجاد الحلول لها ، ولكن برغم ذلك كله قلت إننا لسنا خارج عصر العلم ، ولكننا لم ندخله بعد كما ينبغى لنا . من أجل ذلك أود أن يتحقق لنا ما يأتى :

١ ـ أن نُدرس المنهج العلمى تدريساً مبسطاً ومتدرجاً ، بدءًا من المرحلة الإعدادية وحتى ختام المرحلة الثانوية .

٢ ـ علينا أن نرقى بكليات العُلوم إلى أرفع المستويات من حيث الأساتذة والأجهزة والمناهج .

٣ ـ يجب أن توضع خطط ثابتة للبحث العلمى تقوم على الفرق المتعاونة مع التركيز فى هذه الفترة على ما يتعلق بالإنتاج .

٤ ـ يجب أن نوفر له التقنيات اللازمة ، وأن نعنى بالجانب الاقتصادى له ، ويا حبذا لو أشركنا معنا البلاد العربية .

٥ ـ يجب أن نوفر للباحثين ماهم أَهْلٌ له من التشجيع والتكريم ، والمستوى اللائق من المعيشة ، ليستقروا فى التفرغ لعملهم الخطير ، باعتبارهم مصابيحنا الهادية فى طريق التقدم والعصر .

٢٢ / ٧ / ١٩٨٩

العمل حياة

كيف نوفر العمل لكل مواطن قادر على العمل ؟ أولاً : بإعداد المواطنين لشتى الأعمال والأنشطة . وهذا هدف يجب أن يُوضَع فى الحسبان منذ الخطوات الأولى للتربية والتعليم ، ويجب أن يُخطط له بدقة وحساب وأمانة ، وعلى أساس من مصلحة المجتمع أولاً وأخيرًا ، فبعد فترة التعليم العام يبدأ بحزم عادل توزيع التلاميذ توزيعًا شاملاً لخدمة الخطة الشاملة والاحتياجات الفعلية ، وتبعاً للاستعدادات الفردية ، بحيث لايبقى للتخصصات العالية إلاَّ الأكفاء القادرون ، وأن يتم انتخابهم بطريقة عامة لا شبهة فيها ولا مظنة ولا ثغرة ، وبحيث لا يزيد عدد الطلاب فى أى كلية أو معهد عن الحد الذى يهيىء تعليماً عالياً صالحاً وكاملاً يبشر باكتشاف المبدعين والقادة .

ثانياً : التوسع المستمر فى إنشاء الأعمال الجديدة ، ونحن نملك عوامل مشجعة فى هذا المجال ، كالاستقرار ، والسلام ، والعلاقات الطيبة مع بلاد العالم ، وفى مقدمتها البلاد العربية . فضلاً عن ذلك فنحن بصدد سَنِّ قانون جديد للاستثمار نرجو أن يطهر طريقه من العقبات ، ويُيسر له التسهيلات المطلوبة ، ويطرد عن جوه أشباح البيروقراطية القاتلة ، لنشجع رأس المال الوطنى والأجنبى على العمل

والإنتاج ، بالإضافة إلى العناية الجادة بالقطاع العام ليقوم بالدور الوطنى المأمول فيه .

ثالثاً : إعداد الفائض للهجرة المنظمة . ولن يتم ذلك على الوجه المطلوب إلاَّ إذا قامت وزارة القوى العاملة بمهمتين خطيرتين : أن تنشط للتحرى عن احتياجات البلاد الأجنبية إلى الأيدى العاملة ، وأن تُدرب القوى الاحتياطية على العمل ، بعد الفراغ من تشغيل الصالحين بالفعل .

رابعاً : نشر الوعى الثقافى فى المدارس وفى أجهزة الإعلام . والثقافة ضرورة لكل فرد وحق لكل إنسان ، ولكن ما يهمنا منها هنا أنها كانت دائماً ذات صلة فعالة بتنظيم الأسرة بتلقائية حرة من قبل أن يصبح التزايد السكانى مشكلة قومية .

١٩٨٩ / ٧ / ٢٩

جائزة الإبداع

خبر ذاع فى حينه عن إنشاءجائزة إبداع عالمية مصرية . أن تكون لنا جائزة عالمية حلم جميل يتناغم مع عزتناالوطنية، كما يتوافق مع طموح وزير ثقافتنا وسعية الدائب للنهوض والتقدم ، ولكن الجائزة العالمية مشروع خطير يقتضى أعباءً مالية ضخمة ، وأجهزة للمتابعة ، وخبراء كثيرين على أرفع المستويات ، إلى ما يتطلبه من تَقَصٍّ واسع النطاق ، متعدد التبعات ، تنوء به أعلى الهمم . وما يليق أن نزج بأنفسنا فى مجالٍ ثم يجيء الجهد والممارسة والثمرة دون ما يشرف اسم مصر ووزنها التاريخى وجهادها الراهن . لعل بعض العبء المدخر لذلك المشروع وبعض الجهد الموعود له إذا وُجِّهَا لتشجيع الإبداع المحلى أن ينتجا خيرًا كثيرًا ويزيلا عناءً كبيرًا .

إن الثقافة الجادة فى حاجة ماسة إلى التشجيع الجاد . إن المواهب المبدعة الجديدة تشق سبيلها فى أرض صخرية ، وتبعث أنغامها فى صحراء لوثتها الأزمات والبطالة والتعصب ، بالإضافة إلى منافسة أجهزة الإعلام الحديثة السحرية .

الإبداع الجاد يتطلب عملاً شاقًّا متواصلاً ، وثقافة واسعة شاملة ، وصبرًا شديدًا ، وجزاؤه فى النهاية لا يذكر ، وفى مثل ذلك الجو يتعين

على المبدع - إذا آثَرَ الجدية وتسامَى عن المغريات - أن يرضى بالرهبنة ، فالأمر يحتاج إلى تشجيع جاد حتى نمرق من أزماتنا الخانقة . علينا أن نجود بكل أريحية لاكتشاف المواهب الجديدة وتقدير النابهين ، وتكريم الكبار . وفى تقديرى لايجوز أن تقل الجائزة التشجيعية عن عشرة آلاف من الجنيهات ، وجائزة الامتياز عن ثلاثين ألفاً ، والجائزة التقديرية عن مائة ألف . نحن نُطالب المسئولين عن الثقافة بأن يقفوا مع المبدعين الجادين لِيَتَحَدَّوْا معًا زمناً مُتجهماً بجميع سَوْءاته ومغرياته .

١٠ / ٨ / ١٩٨٩

العمـــال

فى اعتصام العمال بمصنع الحديد والصلب دعوة للتأمل . ومن منطلق التأمل تتراءى لنا حقائق نرجو ألاَّ تغيب عن ذوى الألباب .

١ ـ أنه إذا كان الحكم يقوم فى البقاء والاستمرار على تمثيله للأغلبية فإن العمال يقفون صفًّا فى مقدمة هذه الأغلبية ، وهم الذين أعادوا ثورة يوليو إلى مركز السلطة بعد أن زحزحتها عنه الحوادث . وهم الذين انتفعوا بقوانينها الثورية ومؤسساتها كما انتفعت بهم . وإذن فقد التحم الطرفان من بادىء الأمر ، ويجب أن يستمر الالتحام ويقوى للتصدى للحاضر وبناء المستقبل .

٢ ـ إننا نعبرُ فترة عسيرة وجسرًا مليئاً بالمتاعب ، ولا نجاة لنا إلا بالعمل والإنتاج ، ذلك واجب كل مواطن فى موقعه ، ولكنه واجب العامل بصفة خاصة مؤكدة . هو المرشح لأن يكون صاحب الفضل الأول عند النجاح ، وهو المسئول عن أى تراخٍ أو إهمالٍ عند الفشل ، وأى سهو أو خطأ فى هذا الجانب لا يغتفر .

٣ ـ إنَّ الإضراب وإنْ يكن حقًّا ديمقراطيًّا معترفاً به إلاَّ أنه فى محنة كالتى نمر بها يجب التغاضى عنه ، واعتباره ـ إلى حين ـ من الكبائر ،

فعلينا أن نجرب جميع السبل إلاَّ سبيلاً يهددنا بالخراب ، وفى مقدمتنا العمال أنفسهم .

٤ ـ إن الظلم أيضاً من الكبائر مثل الإضراب ، ويهدد بالخراب مثله، فعلينا جميعاً أن نعالج مشكلاتنا بعيدًا عن البلادة والتكبر والبيروقراطية ، وبعيدًا عن القهر والرصاص . على كل عامل أن يعرف سبيله المشروع ، وعلى كل مسئول أن يؤدى واجبه الوطنى ، كذلك النقابات واللجان الحزبية ، يجب أن يعود للأسرة ترابطها ، وأن تتفاهم بالحوار والشورى ، وتتبادل الاحترام فى ظل سيادة القانون وتقديس العدل .

إن السفينة مثقلة بالأعباء ولا تحتمل العواصف المباغتة .

١٩٨٩ / ٩ / ٧

الفن والتاريخ

كان يجب ألَّا تُثار مشكلة نتيجة لالتحام الفن بالتاريخ . فالفن إبداع قائم بذاته ، والتاريخ عِلْمٌ له منهجه ومقوماته ، ونحن نتوجه للفن ابتغاءً للمتعة الروحية والحسية والاستنارة ، ونقبل على التاريخ لمعرفة حقائق الماضى وتنوير الحاضر . ومن يجعل الفن سبيلاً إلى معرفة الحقائق التاريخية فقد أخطأ فى حق الفن والتاريخ ، كما أخطأ فى حق نفسه .

ولكن فى بعض الأحيان يستهدف الفنان من عمله إحياء فترة مر التاريخ أو نقدها ، فيدخل بذلك فى مجال التاريخ والمؤرخين ، وقد يتعرض بسبب ذلك لنقد تاريخى بعيد عن جوهر فنه . وحتى فى تلك الحال لايجوز أن ننسى أن ذاتية الفنان أهم لديه من موضوعية المؤرخ ، وأن الرؤية الفنية هى هدفه لا الرؤية العلمية التاريخية ، ومع التسليم بأن الرؤية الفنية كثيراً ما تثرى بالبعد العقلانى الموضوعى .

هذا كلام يمكن أن يُقال فى نطاق الثقافة الجادة وبين المثقفين الجادين ، ولكن كيف يكون الموقف إذا نقل الفن إلى وسيلة من وسائل التعبير الجماهيرية كالتليفزيون مثلاً ، وبخاصة إذا تذكرنا ملايين الأُميين

الذين يتابعونه باهتمام وشغف ، وهم فى الوقت نفسه لايفرقون بين ماهو تاريخ وماهو فن .

هنا نجد أنفسنا فى مأزق وقد يتحول العرض بدون قصد إلى تضليلٍ للجمهور ، وتزييف لتاريخه ، وإساءة بالغة لثقافته .

ولن نخرج من هذا المأزق إلا بإحدى وسيلتين :

١ ـ إمَّا أننا لا نختار إلاَّ الأعمال المتوافقة مع التاريخ العام .

٢ ـ وإمَّا أن نعرض تاريخنا بالأفلام التسجيلية ـ قصيرة وطويلة ـ بشرط أن يكتب المؤرخون مادتها العلمية ، ويراجعوا معالجاتها الفيلمية ، ولا أشك فى أنها ستحوى الفائدة والمتعة معاً .

١٩٨٩/٩/٢٨

صحتك

تسعدنى مبادرة المسئولين بالرد على ما يُثار من نقدٍ لأمور تجرى فى نطاق مسئولياتهم . إنه امتدادٌ للحوار الذى يدور فى مجلس الشعب بين الأعضاء والوزراء ، ولكنه يدور هذه المرة بين الشعب والمسئولين مباشرة ، وليس أشق على النفس من أن ينشر خبر خطير فيقابل بالصمت من ناحية الدولة ، واللامبالاة من ناحية الناس ، مما ينبىء عن حال استسلام للأخطاء ، ويأس من الإصلاح ، وينذر بموت اجتماعى شامل .

من الأمثلة الطيبة ما نُشر عن لبن فاسد للأطفال زعم أنه تسبب فى حوادث مؤسفة ، فلم يمض يوم حتى نفى مسئولٌ الخبر فى صورته التى نُشِرَ بها ، معترفاً فى الوقت نفسه بوقوع خطأ سارعت الجهة المسئولة إلى احتوائه قبل أن يستفحل شره . هذا حَسَنٌ ، والأحسن أنه ما كان ينبغى للبن أن يوزع على الناس قبل التأكد من صلاحيته ، وأن يخضع للفحص فى دورات محددة حفاظاً على الصحة العامة .

أما الذى لم أفهم مغزاه فهو ما نُشِرَ عن منع إنتاج المياه المعدنية «مينرال» بناءً على نتائج التحليل ، لم أفهم مغزاه ، لأن تلك المياه متداولة فى السوق منذ زمن بعيد ورائجة على نطاق واسع ، وهى وأمثالها من

المشروبات تكتسب الثقة بناء على ثقة الناس فى وزارة الصحة وقيامها بواجبها فى ذلك المجال . هذا ما نتصوره ، ولا يمكن أن نتصور سواه ، وإلا أصبحت صحة الناس نهباً للجشع والطمع والربح الحرام . فكيف لم يكتشف التحليل حقيقة المياه إلا فى أواخر صيف ١٩٨٩ ؟

إن صحة شعبنا أمانة فى عنق وزارة الصحة التى نرجو أن تكون دائماً عند حُسن الظن بها .

١٩٨٩ / ١٠ / ٢٦

مجلس الشعب

فى أوائل هذا الشهر يعود مجلس الشعب لعقد جلساته ، يعود بعد عطلة ركن فيها إلى شىء من الراحة فى أعقاب عام حافل بالنشاط توج بإصدار قوانين التركات والمخدرات والاستثمار . وإنى من الذين يشعرون بوحشة فى غيبته ، والذين يحبون دائماً أن يسمعوا صوت الشعب عالياً بكافة أنغامه المؤيدة والمعارضة . وهو يعود وقد رسخ فى ضمير كل متابع لأخبار العالم أن الشعوب لم تعد ترضى بديلاً عن الديمقراطية أسلوباً لحياتها السياسية ، يستوى فى ذلك الشعوب الرأسمالية والاشتراكية ، وأن العالم كله يستقبل حياة جديدة من التوحُّد والتكتل والأنظمة الاقتصادية المستحدثة ، وأنه يخوض فترة انتقال عالمية تقتضى من كافة شعوبه ـ وخاصة شعوب عالمه الثالث ـ مضاء العزيمة ، ومرونة الحركة ، واليقظة الدائبة ، والتطلع إلى الغد ، وما يضمر فى جوفه من علاقات اجتماعية ثورية ، وظاهرات طبيعية خطيرة ، وكفاح للذات والعيب .

فى مثل هذا الجو نحب دائماً أن نسمع صوت الشعب ، ونلمس تَصدِّيه للمشكلات الراهنة والمستجدة ، ونأنس إلى مواقفه المعبرة عن آمالنا وآلامنا وأحلامنا . وأملنا الثابت أن نجد من نوابنا دائماً اتساعاً مطردًا فى صدور الأغلبية ، والتزاماً متصاعدًا من المعارضة بالموضوعية والجدية ، والخصومة النزيهة الوطنية .

كلنا أمل أن يسفر العام الجديد عن إرساء تقاليد ديمقراطية مثالية ، وتقديس حقيقى لسيادة القانون ، واحترام شامل لحقوق الإنسان وكرامة المواطن ، وتقدم يناسب العصر فى تنقية ديمقراطيتنا من الشوائب التى تعرقل مسيرتها ، والقيود الموروثة من عصر الحُكم الشمولى . ونحن على لهفة فى انتظار صدور قوانين جديدة لإنقاذ اقتصادنا ، وتجديد إدارتنا ، وتطهير حياتنا من الفساد والسلبية .

يعود مجلس الشعب فأهلاً به ملاذًا لكل مواطن ، وموطناً لكل إصلاح ، ومشرقاً لكل أمل منير .

١٩٨٩ / ١١ / ٢

دع اليأس وتوكل

عرفت نوعين من اليائسين : الأول يائس تماماً من إمكان التغلب على مشكلاتنا الراهنة ، مثل : الديون ، والتفجر السكانى ، والفساد ، وضعف الإنتاج ، والبطالة ، والأزمة الاقتصادية ، والتحلل الأخلاقى . والثانى لا يستبعد حل جميع تلك المشكلات ، ولكنه يائس تماماً من إمكان اللحاق بالأمم المتطورة ، فقد طارت بها التكنولوجيا إلى آفاق رحيبة ، ونحن مازلنا نتعثر فى أول الطريق ، ومع كل يوم تزداد المسافة بيننا وبينهم بُعْدًا وتراميًا ، حتى ليستوى الاستمرار فى السباق مع الخروج منه .

اليائس الأول جاهل بالتاريخ ، تاريخ الأمم وتاريخ وطنه نفسه ، عصبى المزاج ، قليل الحيلة ، مرشح دائماً للانهيار والهزيمة . لاشك أننا نملك موارد وإمكانات وقوى بشرية ، ولا ينقصنا إلاَّ المزيد من النظام ، والإصرار ، والمتابعة ، والمراقبة ، والحزم ، والقيادات الاجتماعية والعلمية الصادقة ، وسوف نقهر مختلف صعوبات الحاضر ، ونمضى فى طريقنا إلى غايات بعيدة .

أما اليائس الثانى فهو يتصور أن النهضة لا تتحقق إلا إذا جلسنا على القمة مع الأمم القائدة ، فى العلم والتكنولوجيا . . لكن العالم يتسع

لأكثر من درجة مقبولة من الأمم ، وأكثر من أسلوب للحياة والحكمة والسعادة ، ألا يكفى أن نجعل من أوطاننا أوطاناً مستقلة تتبادل الخير والسلام مع بقية الأمم ؟. وأن نجعل من المواطنين أمثلة طيبة للتعلم والثقافة والإيمان والعمل ؟ وأن نجعل من حكوماتنا نظماً إنسانية يحظى الإنسان فى ظلها بالأمن والاحترام ؟ . وأن تؤمن الأمة بالحق والخير والجمال ، ولا تضن على العلم بكل جهد متاح ؟.

إنه مشروع ممكن التحقيق ، يهيىء لنا حياة كريمة ، ويمنحنا استحقاقاً للوجود فى هذه الدنيا ـ حتى ولو لم نَعْتَلِ قمتها أو نتقدم مسيرتها فى الفضاء ـ لا وجه لليأس ، سواء على المدى القريب أم البعيد.

١٩٨٩ / ١١ / ٣٠

الشكوى لأهل البصيرة

علقنا ذات يوم على بيان صدر من مياه «مينرال» ، وتساءلنا : كيف تُركت المياه للناس يشربونها سنين بغير حساب ، ثم يصدر ذلك البيان ليحذر الناس من شربها ؟ وتوقعنا أن يسعفنا تفسير أو تحقيق ، ولكن طغت موجة اللامبالاة مرة أخرى . ثم ضاعف من دهشتنا أن الشركة المنتجة للمياه فى حيرة من الأمر مثلنا ، وأنها تتلهف على تحقيق عادل يقطع الشك باليقين ويُطَمْئِنَ الناس على صحتهم ، ونزاهة الإدارة فى وطنهم .

فقد تلقيتُ من الشركة خطاباً يتحدث عن نشأتها ونجاحها فى الداخل والخارج ، وكيف تعرضت لحرب غير عادلة من الشركات المنافسة ، ومن تَدخُّل الإدارة حتى احتكمت إلى القضاء أكثر من مرة فأنصفها بالبراءة ، وفوجئت فى صيف هذا العام بقطع الكهرباء عن المصنع ، فكابدت خسائر فادحة ، وتشردت حوالى ٢٥٠ أسرة ، بالإضافة إلى المساس بسمعة البلاد فى الموسم السياحى الصيفى .

ونحن لا ننشر هذه الكلمة إيماناً منا بصدق ما جاء فى الخطاب ، كما أننا لا نملك تكذيبه ، فعلم ذلك لا يكشفه إلا تحقيق عادل وعاجل لا يستهدف إلا الحقيقة والعدل ، والشركة تطالب به ، وقد وجهت

شكواها إلى كل موقع يرجى أن تسمع عنده الشكاوى . ونحن فى النهاية نعيش فى دولة يحكمها دستور وقوانين ، وتقاليد حضارية عمرها آلاف السنين ، ولا نعيش فى غابة من قطاع الطرق والوحوش .

والذى يهمنا أكثر من الشركة ومن المياه هو سمعة البلاد ، ومعاناة المعذبين فى الأرض ، كما تهمنا الثقة التى تشجع على الاستثمار ، وتفتح أبواب الأمل أمام الشباب المكتئب . ولابد أنه يوجد فى مكانٍ مَّا أثَارة من ضمير لم يفسدها بَعْدُ الزمن الأغبر .

١٤ / ١٢ / ١٩٨٩

جدولة المشكلات

خطب الرئيس فى مجلس الشعب فعرض المشكلات وأشار إلى الحلول، وبقى أن ننتظر العمل فى إطار الصبر والأمل .

من المشكلات ما يقتضى تفكيرًا عميقاً ، وتخطيطاً سليماً ، وتنفيذًا موفقاً ، مثل وضع برنامج لتضييق الفجوة بين الصادرات والواردات ، وتصنيع أدوات الإنتاج محليًّا، واستيعاب التكنولوجيا الحديثة ، وتطوير الأداء الاقتصادى ، ومعالجة مشكلة الديون ، وكل أولئك يحتاج لوقت، ولا أتصور أننا لم نشرع فيه على نحو أو آخر ، ولكن آنَ لنا أنْ نُضاعف الهمة ونشحذ العزيمة .

وثمة مشكلات أخرى يمكن اقتحامها بدون تردد ، وكان يجب ألاَّ تكون فى حاجة إلى تنبيه ، مثل أداء الواجب قبل المطالبة بالحق ، وتحقيق معدل أسرع فى الإنجاز والإنتاج ، والسعى إلى الإتقان والابتكار ، وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب ، وتشجيع الكفاءات الخاصة ، ومشاركة المواطنين فى اتخاذ القرارات .

ومن ذلك النوع الأخير ما يتعلق بدور مجلس الشعب ، مثل الاتصال المستمر بالقواعد الشعبية ، والمتابعة اليقظة فى تنفيذ القرارات، وتنشيط

لجان تقصى الحقائق فى القضايا المهمة ، وتعاون الأحزاب إزاء الأهداف القومية .

وعن السياسة الخارجية فالجديد فيها - بالإضافة إلى الإنجازات العربية السابقة والإفريقية - هو ما جاء عن تلاحم مصر وليبيا ، وتأييدنا لمقررات مؤتمر الحوار الوطنى بالسودان الذى اتسم بالمرونة واتساع الأفق والتأهب لاحتواء شتى الخلافات .

الحق أن كل شىء يدعو للعمل بدون هوادة . الهموم كثيرة ، والمعاناة ثقيلة ، بالإضافة إلى مشكلات لا نعرف لها حلولاً سريعة ، مثل البطالة، والتكاثر السكانى ، وما ينشأ عن ذلك من مخدرات وجرائم وانحلال خلقى .

يجب أن نقاتل ونقاتل ونقاتل ، وألاَّ نكف عن القتال حتى يتيسر لنا النصر .

٢١ / ١٢ / ١٩٨٩

هدايا الأفراح

للرياضة فضل ثابت فى تربية الجسد والروح ، ولكنها فى تاريخنا الحديث ذات أفضال جديرة بأن تُسجل بين مفاخرنا القومية . وما الفرحة التى أهداها فريق الكرة إلى شعبنا فى نوفمبر بالأولى ولا بالأخيرة بإذن الله . هى حلقة مضيئة فى سلسلة من اللآلىء المتألقة التى تحلَّى بها عُنق الوطن ، فعن رياضة رفع الأثقال أحرزنا ثلاث بطولات عالمية فى سنوات متقاربة على يد سيد نصير ، ومختار حسين ،وخضر التونى ، بالإضافة إلى بطولة عبور المانش لأول مرة على يد إسحاق حلمى ، كما لمعت لنا نجوم كروية أثارت اهتمام الصحف العالمية ، وهزت الأفئدة ، منهم على سبيل المثال اللاعب الأسطورى حسين حجازى ، ومرعى ، والحسنى ، والسوالم ، ومحمود مختار .

فى تلك الأيام كنا أُمَّة صغيرة مطوية تحت جناح الأسد البريطانى ، يطوقها جيش الاحتلال ، ويرزح فوق صدرها ملكٌ مستبد مُمَالِىء للاحتلال ، ويكافح شعبها الأعزل قوى عاتية فى معركة مستمرة غير عادلة ، ولا تبشر بخير ، فألقيت علينا من السماء رحمة فى صورة انتصارات رياضية تنفخ فينا روحًا من البسالة والأمل ، وترينا علمنا الأخضر وهو يخفق فى ساحات العالم بين جماعات النصر، ووسط هدير من الهُتاف والحماس ، وحَلَّقَ بنا فوق رءوس السادة المتكبرين الذين

ينظرون إلينا من عَلٍّ ، ويُنزلوننا منازلَ الهوانِ بين المغلوبين على أمرهم .

أجل . . فى تلك الأيام عرفنا النصر العالمى أول ما عرفناه على يد أبطالنا الرياضيين ، وزادنا سرورًا أنهم كانوا جميعًا من أبناء الشعب الذى يأبى الظالمون أن يعترفوا له بحقٍّ فى الداخل أو الخارج .

أبطال الرياضة هم رواد النصر العالمى ، سبقوا إليه قبل أن يلمع فى ساحته طلائع العِلْم ، من أمثال مُشَرَّفة ، وخليل عبد الخالق ، وعلى إبراهيم ، ونجيب محفوظ (باشا) .

أهلاً بالرياضة والرياضيين ، ولتكن هداياكم مستمرة متنامية تُفَرِّج الكُروب ، وتفتح أبواب الأمل .

١٩٨٩ / ١٢ / ٢٨

طريق الحكومة

ليس لدينا من أمنية أغلى من أن تنجز الحكومة ما تعد . أن توفق فى تنفيذ خطتها الشاملة ، وتسير بالبلاد خطوات حاسمة نحو الخلاص . لم أَنْسَ بعد بيانها أمام مجلس الشعب . والحق أنه انتزع النفس من همومها إلى حين ، وبث فيها الراحة والأمل . وقد أعلنت فى الوقت نفسه بياناً عن إنجازات عام ١٩٨٨ ، وهو بيان حافل بالعمل الصالح فى شتى الأنشطة الحيوية ، من إنتاج وخدمات ، ولكن ذلك كله مثل جهد خارق يُبذل لإنقاذ سفينة مازالتُ تغالب الأمواج فى وسط المحيط ولَمَّا تبلغ مرفأ الأمان ، فالخطر المحدق بمن فيها يشغلهم عن تقدير الجهد المبذول حق قَدره ومنح القائمين به ما يستحقون من ثناء وتشجيع .

ولكن ما الحيلة والسلطة القائمة قد ورثت تَلاًّ من الخرائب قضى عليها بأن تحمل وزر مَنْ أحدثوه ، وأن تعمل وتقترض لتوفر للناس خدمات اعتادوا أن يحظوا بها بدون شكر ، خدمات إذا توفرت مَرُّوا بها مرور الكرام ، وإذا غابت أو تخلخلت أثارت الفزع وفجرت المواجع . من منطلق ذلك الموقف العسير نتعاطف معكم ونتمنى لكم التوفيق . ومن منطلق ذلك التعاطف نذكركم أنَّ شعوباً قد نالت من أسباب الحياة أضعاف ما نتمناه لشعبنا قد ثارت على أوضاعها ، وتوثبت بكل

حزم لإعادة البناء ، وهذا يعنى أن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده (وحتى الخبز لا يخلو من مشكلة) وأن الحرية وحقوق الإنسان مطَالب عزيزة لا يرضى عنها بديلاً .

من هنا نطالب بأن يُساير الإصلاح السياسى الإصلاح الشامل ، بل ليته يسبقه أيضاً ، فما أحوجنا إلى مشكلة الشعب وفعاليته ، بل إلى قيادته للمعركة ضد التخلف والفساد والانحراف . طهروا الديمقراطية من شوائبها ، وارفعوا الوصاية عن الطامحين للعمل السياسى ، وسلموا بسيادة القانون تسليماً جامعاً ومخلصاً ، لعل الروح تعود إلى الشعب وتحفزه على الإنتاج والعمل والإبداع . وفى زحمة الأحزاب (القائم منها ومن سيقوم) فإنكم تمثلون الوسط المعتدل ، ولكن عليكم أن تضموا إلى ساحتكم جميع المنتمين إلى الوسط ، ولا ينقصكم إلاَّ الإقدام وتخليص شجرتكم الباسقة من الأوراق الصفراء الجافة .

١ / ٢ / ١٩٩٠

خطة واجبة

نشرت الأهرام فى ٧ يناير تقريرًا مقدماً لمجلس الشعب حول خطة الحكومة فى المرحلة الحالية ، أكدت فيه الحكومة اتخاذ الإجراءات اللازمة لتطوير الإنتاج وزيادته وتجويده فى مختلف القطاعات لتحقيق الاكتفاء الذاتى من السلع الأساسية ، وتوفير قَدْرٍ للتصدير تقليلاً للفجوة بين الواردات والصادرات ، وتعتمد الإجراءات على :

١ ـ رقابة فعالة على أعمال موظفى الدولة و إنتاجهم .

٢ ـ أسس موضوعية للحوافز ترتبط بإنجاز كل عامل .

٣ ـ التركيز على التعليم الفنى وتحديد المقبولين بالجامعات .

٤ ـ حرية القطاع العام وضوابط لصون المال المستثمر .

٥ ـ توفير الضمانات والحرية للقيادات فى اتخاذ القرار .

أفكار سديدة تُبشر بالخير ، ونحن نقرؤها فتُحْدِثُ فى نفوسنا ما تحدثه ، نسمة باردة نقية لقوم مختنقين . ونتلهف حقًا وبكل ما نملك من حب للوطن وأمل فى إنقاذه مما يعانيه على أن تتحول الأفكار إلى أعمال بدون تأجيل أو تراخٍ ، وأن نلمس ذلك فيما يصدر من قرارات تنفيذية أو نلمسه ـ وهو الأهم ـ فى النتائج المنشودة من وراء التنفيذ ، أعنى فى زيادة

الإنتاج ، والاكتفاء الذاتى ، وزيادة الصادرات ، وانضباط الإدارة ، وزوال قدر من المعاناة عن المعذبين فى الأرض . نحن نُحَيِّى التفكير ونتلهف على التنفيذ الجاد ، ونحلم بِجَنْىِ الثمار والتخفيف عن الشعب .

وأصارح الدكتور عاطف عبيد بأنى قلق بعض الشىء ، لأن هذا الكلام الجميل أسعدنى مرات من قبل ، وربما فى أكثر من عهد ، بل أصارحه أيضاً بأن هذه الإجراءات هى التى كان يجب أن يقوم عليها صرح العمل منذ وضع حجر الأساس فى الستينيات ، إذ لا يعقل أن نبدأ العمل كيفما اتفق ثم نفكر فى خطة حازمة لتقويمه بعد مرور ثلاثين عاماً . . . ولكن ما الحيلة ؟ .

ليكن الأمر هذه المرة حقًّا وصدقاً ، وليكن كلام عاطف عبيد غير كلام السابقين . . إنَّ مصر والشرق والغرب والعالم وثقب الأُوزون لتطالبنا جميعاً بالجدية والعمل ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

١٩٩٠ / ٢ / ١٥

تشخيص وعلاج

فى بيان الحكومة أمام مجلس الشعب وعودٌ جميلة ، وبيان عن إنجازات قيمة تمت ، وقد أشرنا إلى ذلك فى الأسبوع الماضى ، وأعربنا عَمَّا تُحدثه تلك المعلومات من أثر طيب فى نفوسٍ اشتدت معاناتها ، وأَلَحَّت عليها هموم الحوادث . ولكن يبدو أن الحكومة لا تفشى جميع أسرارها ، وأنها تخفى منها ما يسىء أو يضاعف الهموم . وقد نعتبر ذلك من اللطف فى التعامل مع المشاعر ، ولكنه لا يُجدى فى مكابرة الواقع . فالواقع يجب أن يُعْرَف على أى حال ، لنعرف الحقيقة من ناحية لكى نستجيب للعلاج إذا وجب من ناحية أخرى .

ففى مقال للدكتور خالد فؤاد شريف فى الأهرام الاقتصادى يتحدث عن عام ١٩٨٩ فيقول : إن مؤشرات الأداء لا تدعو للارتياح ، وإن إحصائيات البنك المركزى تؤكد أن الصادرات قد انخفضت من ٣٢٧٤ مليون دولار فى عام ٨٧ ـ ٨٨ إلى ٢٥٤٥,٩ فى عام ٨٨ ـ ٨٩ ، على حين أن الواردات زادت من ١٩٤١ فى ٨٧/ ٨٨ إلى ١٠٠٧٨,٩ فى عام ٨٨ ـ ٨٩ ، وعليه فقد ارتفع العجز التجارى من ٦٥٦٧ مليوناً ليصل إلى ٧٥٣٣ ، كذلك فإن العجز الجارى فى ميزان المدفوعات ـ باستثناء التحويلات ـ قد ارتفع من ٤٦٢٦ فى ٨٧/ ٨٨ إلى ٥٦٩٦ فى ٨٨/ ٨٩ ،

ويتساءل الدكتور ونتساءل معه : إلى متى تستطيع مصر الاستمرار فى إنفاق ما يزيد على دخلها من العملات الأجنبية ؟

الحق أن استعراض الوضع الاقتصادى فى عام ماضٍ لايجوز أن يمر بدون محاسبة وتحقيق وإعادة نظر ، كما لا يجوز أن يمر بدون تفسير للشعب الذى يتحمل الديون ويلتزم بتسديدها جيلاً بعد جيل . وماذا يكون الحال لو امتنعت القروض والمعونات ؟ واضح أنه يجب أن نزيد الإنتاج لأقصى حد ، ونخفض المصروفات لأدنى حد ، وأنْ نُقَوِّمَ الأداء ونراقب الإدارة . واضح أننا فى حاجة ماسة للأفكار المبدعة والإجراءات الحازمة . وواضح أخيرًا أن الزمن يجرى بسرعة البرق ، وأنه لا يرحم المتهاونين والمترددين .

١٩٩٠ / ٢ / ٢٢

القراءة للجميع

إن مشروع القراءة للجميع الذى ترعاه السيدة سوزان مبارك إنجاز ثقافى عظيم بكل معنى الكلمة . مشروع يجب أن ينمو ويستمر وينتشر، وأن يؤيد دائماً وأبدًا بالعناية والرعاية والحماس حتى تتحقق أهدافه وتُجْنَى ثمراته . وفى مجال الثقافة تتركز مهمة المجتمع الأولى فى خلق المواطن المثقف ، المواطن الذى يحب المعرفة ويعشق الجمال فى شتى صوره الفنية والطبيعية . فإذا تكونت للمثقفين قاعدة بنسبة معقولة كانت كفيلة وحدها بحلٍّ جميع المشكلات الثقافية بدون حاجة إلى تدخُّل من الدولة إلا فيما يتعلق بالتشريع والتشجيع والمشاركة فى العلاقات العالمية .

إذا وُجدت هذه القاعدة حلت مشكلة النشر للكبار والجدد ، فإن الناشر الخاص - قبل العام - سيسعى بجده لاكتشاف المواهب واحتضانها ، ولن يواجه الناشىء من الصعاب إلاَّ ما تقتضيه الدراسة والإعداد وخدمة الموهبة .

وبالمثل تُحَلّ مشكلة الصفحات الأدبية فى الصحف والمجلات ، فتتحقق العناية بها احتراماً لوفرة قرائها ، مثل صفحات الرياضة وغيرها .

ويُضاعف التليفزيون والإذاعة اهتمامهما بالبرامج الثقافية الجادة إرضاءً لفئة لا يُستهان بعددها ومطالبها .

ويكثر الإقبال على المعارض التشكيلية ، وحفلات الموسيقى الرفيعة ، والمسرحيات الحقيقية ، والأفلام المبدعة .

إنَّ خَلْقَ المواطن المثقف أهم إنجاز يمكن تقديمه في مجال الثقافة . .

حقًّا إنه مشروع عظيم .

ويجب أن يستمر ، وأن ينجح . . ولراعيته منا الشكر والتقدير .

٢٠ / ٦ / ١٩٩١

مصر المحروسة

فجرت الأهرام الغراء خبرًا مرعباً عن مستقبل الدلتا المصرية . الخبر يقول : إن بعض العلماء فى اجتماعهم بروما أعلنوا أن بحيرة البرلس سوف تتسع ، وأن الدلتا سوف تهبط بمعدل ٧٠ سنتيمترًا عام ٢١٠٠ . وثمة عوامل عدة تتعاون على إحداث الكارثة المتوقعة ، مثل بطء تدفق المياه ، وحرمان التربة من الطمى ، وسحب الغازات والمياه الجوفية ، بالإضافة إلى جرف التربة الزراعية فى بعض المواقع .

وقد سمعنا قبل ذلك عن الدلتا التى تتكون جنوب السد العالى من الطمى المترسب ، وهذا وذاك يعنى أن مصر أصبحت مهددة فى صميم وجودها .

كيف تمر بنا تلك الأنباء والنُّذر ؟

هل نتلقاها باللامبالاة والصمت كأنها خبر من أخبار التاريخ ، أو نبوءة طريفة عن مستقبل بعيد لن نشهده ؟ هل يُخدرنا التواكل والسلبية ونقنع بالانغماس فى هموم الحاضر ومشاكله ؟

لم ألمس أثرًا مناسباً للخبر فى النفوس مثلما لمستُ من أثرٍ عن ضريبة المبيعات ، أو حتى التغيير الوزارى المحدود ، أو أخبار الدورى والمسلسلات . . ولا يمكن تفسير ذلك بأن وجود مصر نفسها أهون على

الناس من تلك الأمور ، ولكن الظاهر أننا لم نعد نولى ما يصدر عن العلم والعلماء ما يستحقه من تقدير وتصديق واهتمام . إن عقولنا تسبح منذ فترة غير قصيرة فى بحر من الخرافات والترهات ، فاهتز فى أعماقها الإيمان بالعلم والعلماء .

مع ذلك أرجو ألاَّ أكون مصيباً فى شكوكى ، وأرجو أن تكون الأخبار المزعجة قد أثارت ما تستحقه من اهتمام ، وشحذت الهمم للتفكير والعمل .

وما أطالب بالكثير إذا طالبتُ الدولة بأن تشكل لجنة من العلماء المختصين لبحث الموضوع بحذافيره وبيان وجه الحق فيه ، واقتراح ما تراه واجباً لنشرع فى تنفيذه من الآن بالاعتماد على إمكانياتنا ، وبالاستعانة بالآخرين إذا قصرت إمكانياتنا .

إنَّ وجود مصر ومستقبلها قد أصبح مهددًا بين دلتا تتكون فى الجنوب وأخرى مهددة بالغرق فى الشمال . ولن تطيب الحياة فى هذه الدنيا إلاَّ لِمَنْ يستحق الحياة .

٤ / ٧ / ١٩٩١

قدوة العصر

جميع الأنشطة الحضارية مهمة وضرورية ، لاغنى للإنسانية عنها فى مسيرتها الشاقة المكللة بالكفاح والتصميم والتضحية ، وقد تبوأ كل نشاط فى زمانه عرش السيادة ، وتخلى عن عرشه فى مجرى الزمن ، ولكنه لم يتخلَّ عن أهميته ، ظل مُهِماً للحاضر والمستقبل معاً . هكذا كانت وتكون الفروسية والأدب والفن والزراعة والصناعة وغيرها وغيرها . كل نشاط مهم وضرورى أيًّا كان ترتيبه فى الجدول الحضارى ،. ولكن ينبغى ألاَّ يغيب عن بالنا مركز الاهتمام فى عصرنا ، ذلك الذى دانت له القيادة والتوجيه ، وتوافرت له أسباب التفوق والتقدم ، فاعتمد عليه الحاضر وتطلع إليه المستقبل : إنه العِلْم .

عصرنا عصر العلم والعلماء ـ كما قلت ـ باعتبار ذلك النشاط المركزى والأساسى دون الإقلال من أهمية الأنشطة الأخرى ، التى بدونها يُمسى العلمُ نفسه وإنجازاته بلا جدوى حقيقية ، وعاجزًا عن تحقيق الكمال والسعادة للبشر .

يجب أن تضع التربية هذا المعنى فى اعتبارها وهى تخطط لبناء الأبناء وتقديم القدوة لهم ، وحفزهم على التوجه نحو الطريق الصحيح .

يجب أن تشحن أخيلة الأبناء بأحلام العلم والعلماء ، والاطلاع الممكن على إنجازاتهم ، وعلى ما قدموه للإنسانية من خدمات ومآثر ، وكيف كافحوا جيوش الظلام بأنوار العقل والفكر .

ويتبع ذلك ويؤازره إلقاء الأضواء باستمرار وسخاء على بحوثنا العلمية المحلية والباحثين ، وتقديم النابهين منهم ، فى أجهزة الإعلام فى هالات البطولة الحقيقية والقدوة المستنيرة ، لينالوا حقهم بنسبة أقدارهم وخطورة أعمالهم بين مَنْ تُقدم من نجوم الفن والرياضة . وليس ذلك بالتقدير الواجب فحسب ، ولكنه فى الوقت نفسه أسلوب راقٍ للتربية ، وبث القيمة الأولى فى عصرنا فى أرواح الأبناء ، وتوجيه الأجيال الصاعدة نحو الطريق السوى القائم على العقل والعمل وحب المعرفة والإيمان بالبشرية وسعادتها .

١٩ / ٩ / ١٩٩١

البحث عن الزمن الضائع

مصر غنية جدًّا بالمؤتمرات واللقاءات التى تجمع بين أهل العلم والخبرة فى شتى الاختصاصات والأنشطة ، ولديها أيضًا من قديم مؤتمرٌ دائمٌ غايةٌ فى النشاط والمثابرة من أهل الخبرة والعلم ، هو مجمع المجالس القومية ، وهناك وزارة البحث العلمى ، ومئات الرسائل العلمية الجامعية .

نشاط علمى بحثى مترامى الأبعاد ، قد ينتهى حيث يبدأ بخطاب الافتتاح وتلاوة البحوث وتبادل الآراء ومنح الدرجات ، وقد يبدأ بذلك ثم يمتد فى صورة تطبيق مباشر أو تخطيط للمستقبل ، وعند ذاك يتحول ونتحول معه من أُمة من العالم الثالث إلى أُمة من العصر الحديث إنتاجًا وتفكيرًا وتصديًا للمشكلات ، وتقدمًا على جميع المستويات .

لا أدرى كيف نتعامل مع ذلك العطاء المتاح ؟ قد يكون تعاملنا معه على غير ما يرجو الإنسان المحب لوطنه ، الغيور على مستقبله ، ولكن المتابع لخُطَى تقدمنا البطيئة يشك ـ أو من حقه أن يشك ـ فى مدى استفادتنا مِمَّا يُتاح لنا من رأى وبحث .

إن الأمر يحتاج إلى تنسيق ودراسة ومتابعة ، وقد يوجد فى كل مجال مركز لتجميع ما يخصه ، ودراسته ، والعمل على تطبيقه ، ولكن التنسيق

الشامل لن يتحقق إلا إذا انطلق من مركز واحد ، ولعله لا يوجد مكان أصلح لذلك من وزارة البحث العلمى . . مركز تكون مهمته :

١ ـ تجميع البحوث من مصادرها فى المجالس القومية والمؤتمرات والرسائل الجامعية ، بحيث لا تفوته كبيرة ولا صغيرة .

٢ ـ الاتصال بجهات الاختصاص للتشاور فيما يمكن تنفيذه منها .

٣ ـ العمل على البدء فى التطبيق فيما لا تعترضه عوائق مالية أو إنشائية .

٤ ـ وضع خطة بالاتفاق مع جهاز التخطيط لما يحتاج تنفيذه لاعتمادات مالية أو إجراءات .

هذا أقل ما يمكن أن نتبعه دفاعًا عن أنفسنا فى هذا العصر .

١٠ / ١٠ / ١٩٩١

تكريم من يستحقون التكريم

ليكن التكريم صادقًا ، وليكن لخير المُكْرَمِين ، ولخير الأجيال الصاعدة ، ولخير القيم السامية .

فى حياة العظيم يجب تسليط الأضواء على إنجازاته وتشجيعه بالجوائز المالية ، أَمَّا بعد وفاته فيجب المحافظة على الخالد من تُراثه درسًا وعبرة للأجيال المتعاقبة ، وما عدا ذلك من حفلات وأوسمة وتماثيل وأسماء تُطلق على الشوارع فتحياتُ عابرةٌ لا قيمة حقيقية لها ، وسرعان ما تتلاشى فى مجرى الزمن ، ولا يبقى منها إلاَّ أسماء وصور لا مضمون لها .

التكريم الحقيقى يحقق هدفين : أولا : يبث القوة والحياة فى الرجل العامل . وثانيًا : يربى الشباب ويقدم لهم قدوة صالحة ويحثهم على العمل والإبداع خدمة للوطن والإنسانية . وتستطيع أجهزة الإعلام أن تقوم بهذه المهمة الشريفة خير قيام ، وأن تنتشر بريقها حول الأعمال النافعة والجميلة فى مجالات العلم والعمل والفنون ، كما تؤدى ذلك الدور بكل جدارة فى مجال الرياضة .

والجوائز المالية يجب أن تكون سخية ومناسبة للزمن الذى تُمْنَح فيه ، ليتمكن المبدعون من التفرغ ا ٍبداع والاستمرار فيه ، والتعويض عن

الجهود الخارقة التى تُبذل فى أعمال عظيمة الأثر فى الحياة البشرية ، برغم تفاهة ثمرتها المادية التى يُكَافأُ بها صاحبها عن عمله .

هذا ما يُراد من التكريم فى حياة العظيم وبعد وفاته . وليس المقصود أن يكون مقصورًا على المكرم وحده ، ولكن الأهم من ذلك أن يمتد أثره فى صورة موجات تربوية وثقافية للأجيال المتعاقبة ، وأن يُسهم بقوة فى تشكيل حضارة المجتمع وتجديد قواه وانتماءاته .

والحق أنه يمكن أن يقال : إن تكريم العُظماء ما هو فى النهاية إلاَّ تكريم للعلم والسياسة والاقتصاد والأدب والفن وجميع القيم السامية .

١٧ / ١٠ / ١٩٩١

فترة الانتقال

نحن نعيش فترة انتقال ، وعلى مفترقٍ من الطُّرق ، بل أصبح هذا القول يصح على العالم أجمع على تفاوت درجاته من التقدم ، حسبك أن تتذكر ما يجرى فى العالم الاشتراكى وفى أوربا وفى آسيا ، فضلا عن العالم الثالث ، وفترات الانتقال فترات شديدة الحَرج ، مفعمة بالآلام مثلما تكون فى حياة الأفراد عند الانتقال من الطفولة إلى الصبا ، أو من الصبا إلى المراهقة ، أو عند التردى فى الشيخوخة ، فعلى مستوى المجتمعات يضطرب الناس عادة بين التطرف من ناحية كوسيلة للمواجهة يمينًا ويسارًا ، والسلبية من ناحية أخرى كهروب من أعباء المواجهة ومتاعبها ، وبين هؤلاء وأولئك يسقط أناس فى الجريمة أو المخدرات ، أو الانحلال والأنانية .

وما هو بالسهل الميسور أن نخرج من عالمنا الثالث إلى العالم المتطور ، ولا هو بالسهل الميسور أن نجد حلاً موفقًا بين السلفية المطلقة والواقعية المطلقة ، أو ميزانًا عادلاً بين سُلطة الدولة وسلطة الشعب ، أو بين زهو القوة وحكمة القانون ، أو بين الأهواء الجامحة والمنهج العقلانى العلمى ، أو بين الانطوائية والعالمية التى توشك أن تغزونا فى مجالسنا العائلية ، ثم إننا لا نُتْرَكُ لمجرى الزمن وحده ، ولا لتطور التاريخ ، فها نحن نحمل

أعباءً إضافية من مشكلات كالجبال ، مثل التكاثر السكانى ، والديون، والبطالة ، وقلة الموارد .

وهكذا إذا حَسُنَ وَعْيُ الفرد وقع فريسة للحيرة والكآبة ، وإذا سَاءَ وعيه غرق فى ذاته ، فمات وهو حى ، أو حَيِىَ وهو ميت .

إنها الانتقال ، فترة العذاب ، ولكنها أيضًا فترة العمل والجهاد ، ومبعث الخَلقْ والإبداع ، ومولد القادة والأبطال . هى الامتحان التاريخى للهمم والعزائم ، ولا محيد فيها عن النجاح ، لأن البديل هو الموت ، ونحن لم نُخْلَق لننتحر .

٢٤ / ١٠ / ١٩٩١

الوطن الكبير

الأرض اليوم تموج بالمتناقضات . . يقودها العلم إلى آفاق مذهلة من المعارف والإنجازات ، تتجه بها إلى آفاق من التقدم والاستنارة والقوة ، ما بين باطِن الكرة الأرضية والفضاء ، مرورًا بالإنسان والحيوان والنبات والجماد ، وتتكالب عليها أخطار مروعة ، مثل التلوث والجفاف ، والأمراض ، والمخدرات ، والإرهاب ، توشك أن تنهرها من الأعماق ، أو تصيبها بالبلاء . ولكل وطن نصيبه من التقدم والخطر بحسب موقعه من الحضارة ، وهو مطالب بالتصدى لمشاكله بشتى الوسائل ، فى حدود طاقاته ومواهبه .

ولكن عصرنا يتميز بوضع جديد ، هو أنه ينحو نحو التقارب والتوحد ، فأصبحت إيجابياته وسلبياته تسرى فيه ككلٍّ واحدٍ ، غير معترف بحدود . . إنه عصر التبادل بين الأطراف ، والاندماج فى تجمعات ، وتقاسم الخير والشر ، بل الشر قبل الخير فى كثير من الأحايين ، لم يعد به من أسرار إلاَّ ما ندر ، وربما لا يبقى هذا سرًّا إلاَّ إلى حين ثم ينتشر ، ونحن فى زمن المعارف العامة ، والتجارة الدولية ، والاقتصاد الدولى ، والحوار الأُمَمِىّ ، تجمعه قيم مثل حقوق الإنسان ، وتلتقى فى مؤسسات ومؤتمرات ، وتتحدانا أخطار واحدة تعمق شعورنا بالتوحد وضرورة التعاون الشامل .

هيهات أن تُحَلّ مشكلة مهما بدت لدى أهلها محلية ، إلاَّ من منطلق النظرة الجامعة ، والتعاون الحق ، والانتماء البشرى العام ، وتخطى حدود الأنانية القديمة التى نمت بين الناس بالحدود التقليدية والمصالح الآنية الذاتية .

غرباء من يعيشون فى هذا العالم بعقول متحجرة ، أو رؤية ذاتية ، أو أهواء عنصرية ، أو ميول تعصبية ، أو أسرى للصغائر والأحقاد العابرة ، وحسبنا ما ارتكبنا من أخطاء فى أيام العزلة ، وما سفكنا من دماء غزيرة ، ورجاؤنا إلى الله أَلاَّ تفلت من أيدينا فرص النجاة ، وألاَّ يتعثر فى ضميرنا الشعور بالواجب الإنسانى .

٧ / ١١ / ١٩٩١

لابد من معركة

مَنْ يخالط الناس تنهمر عليه شكواهم كشواظ النار ، لا يسعه بعد ذلك إلاَّ أن يؤمن بأن جمهرة غفيرة من الخَلْق تعيش فى قبضة كابوس يجب أن ينقشع لتسفر الحياة عن وجه جديد ، استمع إلى ذلك بقلب مثقل بالغم ، وبرغم ما أُقِرُّ به من اجتهاد الصادقين وما أنجزوا من إصلاحات كثيرة وشاملة ، فإننى لا أتوقف عن التفكير فى أمور مهمة وعاجلة مثل :

١ ـ استكمال حرية الشعب واحترام حقوقه ليخوض معركة حياته معتزًّا بكرامته ، معتمدًا على ذاته ، متحملا لمسئوليته ، وكخطوة أولى علينا أن نبدأ بإلغاء قيود تكوين الأحزاب لنرفع الوصاية عن أهم حق سياسى للجماعات ، فلابد أن يُساند الإصلاح السياسى الإصلاح الاقتصادى ؛ لأن الطائر لا يستطيع أن يطير بجناح واحد .

٢ ـ تحصيل المال العام ، وخاصة الضرائب ، وإجراء إحصاء شامل للممولين ، ومطاردة المتهربين ، وهنا يجب أن نعترف بما تبذل مصلحة الضرائب من هِمَّة محسوسة ، كما يجب أن ننوه باتخاذها أسلوبًا جديدًا فى المعاملة يجمع بين احترام الناس والحرص على المصلحة العامة .

٣ ـ تقديس العمل واحترام الوقت والنظام ، والتركيز على الإنتاج ،

مع تشجيع المجتهدين ، والضرب على أيدى المهملين والكسالى ، والتسامح اليوم يُعَدُّ امتدادًا للتسيب ومشاركة فى التخريب .

٤ ـ الدعوة لسياسة عامة للتقشف تناسب حال دولة مثقلة بالديون ، متعثرة فى السداد ، على أن يبدأ التقشف بالدولة ثم ينتشر بين القادرين، وأن يشمل الغذاء واللباس والحفلات والمهرجانات وكافة مظاهر البذخ .

٥ ـ العناية الفائقة بالتصدير ، ولو على أساس الحرمان من طيبات كثيرة ، فهو فى النهاية سبيلنا الكريم إلى تسديد ديوننا ، كما أنه العامل الأول فى الارتقاء بالإنتاج بالأساليب العلمية الحديثة .

وثمة أمور كثيرة يمكن أن نفكر فيها ، ولكننا يجب أن نبدأ وبعزم جديد .

١٤ / ١١ / ١٩٩١

الحياة بدون قهر

من القرارات ما تبدو فى ظاهرها بسيطة عادية ، ولكنها تنطوى على أسرار يتعذر تأويلها ، وقد تتسم بسجايا لا تتسم بها غيرها ، تتسم بأنها موحية بالعديد من الأفكار والخواطر والرؤى ، مثل الرموز الغنية التى تتجاوز تفسيراتها حجمها الطبيعى . وقد يتردد صداها فى قلوب كثيرة استنامت طويلا للسلبية ، فتشرق فجأة بالأشواق والآمال . حدث ذلك على غير توقع ، وفى حومة التفاؤل تساءل صوت عن : كيف نبدأ بالإصلاح ؟ وأجاب بأن على كل فرد أن يبدأ بنفسه ، وأن يؤدى فى مجاله واجبَهُ كما ينبغى له . وقاطعه صوتٌ ثانٍ بأن الاعتماد على الفرد لا يكفى ، وضرب لنا مثلاً بنفسه ، كيف عزم على أن يحقق حلمه فى موقعه ، وكيف اعترضته شبكة من العلاقات المعقدة ، والتقاليد البالية ، وعفن نظام متجمد ، وأنه لا مفر من تغيير أشمل من الفرد وأكبر . عند ذلك تساءل ثالث : هل يعنى هذا أن نستسلم للواقع وينصرف كُلٌّ إلى مالا خير منه ؟ . . لماذا لا يبذل كل فرد مافى وسعه ؟ ولماذا لا يخرج بعد ذلك من قوقعته لينضم إلى أى تجمع وطنى يناسبه فيزيده قوة ويزداد به قوة ؟

وأتابع الحوار فى سرور لا مزيد عليه . ها هى ذى أول موجة تصادفنى معلنة التمرد على السلبية ، ولا يوجد ما هو شر من السلبية فى شعب ، وقد ظن البعض أنها الموت الذى لا بعث منه . ولكن الإنسان قد يسقط

فيفقدميزاته الباهرة ، ولكن ذلك لا يدوم ، ولا يمكن أن يدوم. فى أعماقنا تعيش غريزتا الحياة والموت جنبًا إلى جنب ، ولابد أن يستعيد الإنسان توازنه فى لحظة مّا ، كرد فعل لقرار حكيم أو عملٍ صالحٍ أو كلمة مؤثرة . وقد بلغ العناء حالته ، فلم يبق إلاّ العمل والأمل .

١٩٩١ / ١١ / ٢٨

الوجه الآخر للصورة

فى وسط الظلام تلوح بوارق تتألق بالنور ، يجب أن نتخذ منها مصابيح تنير الطريق المفضى إلى الخلاص والنجاة . ليست حياتنا ديونًا وغلاءً وفسادًا ومعاناة فحسب ، فيها أيضًا « بانوراما » تضم رموز النصر، وتجسد التفوق والعزم ، وتسجل أسماء الشهداء من الجنود والضباط من مختلف الرتب . ما أَكْثَرَ شُهداءَكِ يا مصر ! وإذا أضفنا إليهم شهداء ٥ يونية ، والعدوان الثلاثى ، واليمن ، وثوار ١٩١٩ ، والمناضلين فى سبيل الدستور والديمقراطية ، إذا أضفنا هؤلاء إلى أولئك كوَّنُوا أُمَّة من الأبرار وددتُ لو جمعتهم صورة واحدة لتغرس فى كل قلب لتؤيد نبضه ، وتفعمه بالحب وروح الفداء والبسالة والقوة والعمل .

وفيها تجلى معرض الإنتاج الخاص بالصادرات ، وهو ما يضعنا على الطريق الصحيح نحو التوازن الاقتصادى وتسديد الديون ، ويمثل الوحدة فى الإنتاج المتقَن ؛ من أجل الخلاص والتطور قبل الاستهلاك والاستمتاع .

وفيها أيضًا سياستنا الخارجية الحكيمة المتوجهة نحو العرب والإفريقيين والعالم ، عينًا على الخارج بهدف المشاركة الإنسانية الرفيعة ، وعينًا على الداخل لِجَنْيِ الثمار المشروعة ، وشد الأواصِر المنشودة ، والإنجاز الشامل العادل ، المستند إلى التعاون والإخوَّة .

وفيها إنجازات صادقة فى شتى فروع الإنتاج والخدمات ، وفيها تَفَوُّق علمائنا فى الخارج والداخل الذى يملأ القلوب ثقة ، ويضفى على مستقبلنا لونًا ورديًّا بهاء الحياة والعلم .

لنذكر الشدائد لتثير فينا روح التحدى والبأس ، ولْنَطُفْ بالإنجازات لتهدى إلينا مصابيح الأمل ، ولن تذهب دماء شهدائك سُدًى يا مصر.

١٢ / ١٢ / ١٩٩١

سنة الحيـاة

الحياة لا تتوقف ، تيارها يجرى فى تدفق دائم ، تجىء كل يوم بجديد، ثم يصبح الجديد قديمًا ، ويهل جديد تال ، فعلى من يريد أن يحيا فى تيارها المتدفق أن يتحلى بصحوة شاملة مستمرة ، صحوة تشمل الروح والعقل والإرادة ، وتكرس الحرية كوسيلة ناجحة ، وغاية إنسانية سامية .

نعنى بالحرية انطلاق الفكر والخيال والسلوك والاختيار والاختبار . وفى الوقت نفسه نعلم أن ذلك كله يُمارس فى مجتمع بشرى ، وفى ظل قانون عام ومبادىء وتقاليد ، ولكننا نعلم أيضًا أن القانون والمبادىء والتقاليد يجب ألاَّ تتخلف عن التيار المتدفق . يجب أن تتجدد وتُثرى رؤيتها وأسلوبها ولغتها ، وأن تكون معاملتها متفاعلة مع حركة الحياة ، ومتطلعة معها إلى غد أفضل . يجب أن تسقط الأوراق الصفراء الجافة لتنبت محلها أوراق ناضرة خضراء مُتْرَعَة بهاء الحياة .

فى سبيل ذلك يجب أن يبذل الإنسان جهده ، ويتدرّع بشجاعته ، ويستضىء بعقلة وروحه ، ولو ضَحَّى من أجل ذلك براحته وأمنه وحياته . يجب أن يثور ضد الخوف ، ويعلو فوق الرغبة المنبعثة ، ويعتبر الموت جزءًا من الحياة ، ويقبل الأمانة بوصفها الجِدِّيَّة التى لا تتحمل

الجدل . إنَّ أيَّ قوة تعترض سبيل الإنسان مُحَاوِلَةً اعتقال تطلعه الشريف نحو المعرفة والعلم والإبداع والتجديد لَهِيَ قوة من قوى الظلام والتخريب ، وحليفٌ من حُلفاء الشيطان والاندثار . وما من جماعة بشرية تستحق هذا الوصف يمكن أن تتراجع أو تتساهل مع تحديات الظلام ، أو ترضى بأن تقع فريسة لمخالب الشيطان . وكنا نود أن تحشد الطاقة كلها للبناء والتعمير والإبداع ، ولكن يعزينا بعض الشىء أن التصدى لعوامل الهدم نوع من البناء .

٢٩ / ١٢ / ١٩٩١

زورق النجاة

يتحدثون هنا وهناك عن ركود يهدد الاقتصاد العالمى بصفة عامة ، والاقتصاد الأمريكى بصفة خاصة . ونتيجة لذلك ارتفعت أصوات فى الولايات المتحدة تدعو الرئيس الأمريكى لتحويل اهتمامه من الخارج إلى الداخل ، والتصدى للأزمة الاقتصادية ، خاصة أنه يستقبل عامَ الانتخابات ، وها هو ذا الرئيس قد قام برحلة إلى آسيا وأستراليا لفتح أسواق جديدة للتجارة الأمريكية .

هذه الأزمة وما قد يعقبها من نتائج هزت آمالنا حول ما نرجوه للعالم ولمصر ، فنحن من الذين يُتابعون مولد العالم الجديد بكل اهتمام ، راجين أن يصدق فى كل ما وعد به البشرية من احترام للعدل وحقوق الإنسان . وبرغم كثرة الساخرين من تلك الوعود فإننا تجنبنا أن نبادر إلى الشك وسوء الظن ، وآثرنا أن نلوذ بالتفاؤل ، وأن نتمسك به حتى يثبت لنا نقيضه لا قبل ذلك ، ولم نشهد فى السياسة الأمريكية حتى اليوم ما يحملنا على تغيير موقفنا ، وقد تآخت فيها المصالح مع المبادىء بصورة تبشر بالخير .

اليوم نخشى أن تصيب الأزمة الاقتصادية ذلك الحلم بنكسة تُرجع العالم إلى حُمى المنافسة والتحديات والحروب الباردة والساخنة . .

أما عن مصر فقد وجدتنى أُذَكِّرُ نفسى بالقول الحكيم : « دوام الحال من المحال » ، فنحن من البلاد التى تحظَى بمعونة أمريكية لا يُستهان بها . الأكثر من ذلك فإننا نعتمد فى حياتنا على المِنَح والقروض والموارد السيادية ، كالبترول ، وقناة السويس . أقول : إننا يَجب أن نكون أشد حذرًا حيال المستقبل . إنَّ أىَّ هِزَّة اقتصادية قد تُطيح بالمعونات وتغلق باب القروض ، حتى الموارد السيادية لا أمانَ لها ، فمخزون البترول له نهاية ، ولم ننس بعد ما حاق بإيراد القنال والسياحة فى أثناء حرب الخليج ، إن الأساس الوحيد الذى يجب أن نركن إليه ونعتمد عليه هو العمل ، والعمل يعنى الإنتاج والإتقان والإبداع . لا يجوز أن نطمئن إلى التسهيلات الحالية ، ومن المفيد أن نُذَكِّرَ أنفسنا دائمًا بأنها مؤقتة . أما الهدف الذى يجب أن نتطلع إليه فهو الاعتماد على النفس وما يقتضيه ذلك من ثورة فى التعليم والتدريب والتربية الوطنية . أملنا الحقيقى يتركز فى قوانا البشرية والاعتماد على النفس .

أرجو ألاَّ نخلد إلى طمأنينة وهمية ، وأن نستعد للمستقبل قبل أن تقع الواقعة .

١٩٩٢ / ١ / ٣٠

نداء الحضارة

الحضارة الغربية هى أحدث الحضارات البشرية وأغناها بما قدمت من إنجازات عقلية ومادية وقيم إنسانية . . لا يعنى هذا أنها حضارة كاملة أو خالية من السلبيات ، ولكنها تظل محتفظةبمنزلتها الفريدة فى التاريخ ، وقد كان هذا يكفى لاستقبالها بالرضا والقبول ، ولكن الناس ـ خاصة فى أوطاننا ـ اختلفوا حولها اختلافًا شديدًا ، ولعل مرجع ذلك إلى أسباب نضع فى مقدمتها :

١ ـ أنهم يعتبرونها حضارة أجنبية .

٢ ـ أنهم لا ينسون ماضيها الأسود فى عهدى الحروب الدينية والاستعمار .

٣ ـ أنهم يخشون غزو بعض أفكارها للعقيدة الدينية .

٤ ـ أنهم ينزعجون للتناقض البَيِّنِ بَيْنَ بعض قيمها وقيمهم .

٥ ـ أنهم يتحيزون لحضارتهم ويأبون أن يتجاوزها الزمن .

٦ ـ أنهم يخافون تهديدها للبيئة وللحياة ببعض أساليبها الصناعية واختراعاتها التدميرية .

ولعله من المفيد أن نناقش تلك الأسباب .

أعباءً إضافية من مشكلات كالجبال ، مثل التكاثر السكانى ، والديون ، والبطالة ، وقلة الموارد .

وهكذا إذا حَسُنَ وَعْىُ الفرد وقع فريسة للحيرة والكآبة ، وإذا سَاءَ وعيه غرق فى ذاته ، فمات وهو حى ، أو حَيِىَ وهو ميت .

إنها الانتقال ، فترة العذاب ، ولكنها أيضًا فترة العمل والجهاد ، ومبعث الخَلْقِ والإبداع ، ومولد القادة والأبطال . هى الامتحان التاريخى للهمم والعزائم ، ولا محيد فيها عن النجاح ، لأن البديل هو الموت ، ونحن لم نُخْلَق لننتحر .

٢٤ / ١٠ / ١٩٩١

الحمايـة

شهدتُ فى صباى شعبنا الثائر وهو يهتف بسقوط الحماية البريطانية ، وأراه اليوم وهو فى حاجة مُلحة إلى حماية وطنية ، أجل ، لدينا جهاز قوى لحماية الأمن العام ، وجيش كُفء لحماية الاستقلال ، وأجهزة للمحاسبة المالية والرقابة الإدارية ، ولكن المواطن يمضى مرفوع الذراعين بلا معين فى الطريق ووسائل المواصلات ومكاتب البيروقراطية ، يمضى معذبًا مغلوبًا على أمره أمام تعقيدات الدواوين والسادة الموظفين ، فى غمار الضجيج والتلوث والعدوان والجشع والعسف والتعصب .

والسلوك الطيب والتقاليد الحسنة لا تستقر فى وَعْيِ أُمَّة إلاَّ كثمرة لتربية طويلة تُصاحب الفرد من مَدارجه الأولى ، ويشارك فى ترسيخها البيت والمدرسة وأجهزة الإعلام ، ولنا من ذلك نصيب ، ولكنه دون الكفاية وأقل بكثير مما يقتضيه تاريخنا العريق ودورنا المأمول ، فعلينا إِذَنْ أن ننتظر زمنًا طويلا قبل أن يصير التهذيب والضمير والواجب من مفردات حياتنا المقدسة . ولكن لا يجوز أن يمر زمن الانتظار فى استسلام وعذاب واجترار للأحزان ، لا مفر من الاستنجاد بالقوانين والمراقبة اليقظة والعقوبات الزاجرة ، لابُدَّ من إنشاء ديوان للشكاوى تُعْطَى له الصلاحيات الفعالة ، لابد من إيقاظ كل قانون نائم ، وتحريك كل مهمل أو كسلان ، وتأديب كل متهاون فى حقوق الناس .

لقد تابعتُ مسيرة السيد رئيس الجمهورية إلى مواقع الإنتاج والبلدان الجديدة ، وقرأت توجيهاته للمسئولين لاستكمال أوجه النقص التى لمسها بنفسه أو تناهت إلى سَمْعِهِ ، وَدِدْتُ لو أعقبَ كل زيارة بمُحاسَبة الكسالى المتسيبين والمهملين ، لو حدث ذلك لامتد الأثر الطيب للزيارة الواحدة ليشمل جميع مواقع العمل ، ولخَفَّتْ معاناة المعذبين فى أرض مصر . حقًّا نحن فى حاجة إلى حماية وطنية .

١٩٩٢ / ٥ / ٧

اللعب بالنـار

السلاح النووى فى مقدمة الأخطار التى تهدد البشرية ، كالتلوث وثقب الأوزون ، بالإضافة إلى تكاليفه الباهظة التى تُستثمر فى الشر ، وتحرم منها التنمية فى شتى بلاد الأرض ، لذلك فقد أسعد البشر ماتم من اتفاق بين الدولتين الكبيرتين على تدميره من تلك الأسلحة ، كما يسعدهم ما يسمعون عنه أحيانًا من اقتراحات بناءة فى ذلك المجال تستهدف تحجيم صُنعه ، أو مزيدًا من التخلص منه . وقد تبع ذلك خلق جو صالح للتفاهم والتعاون بين عمالقة الدول ، نرجو أن يكون مثالا يُحتذَى بين جميع الدول عند التصدى للمشكلات ، ومحاولة إيجاد الحلول العادلة لها .

أَمَّا ما يفسد تلك الآمال الطيبة وربما هَدَّدَ بإفشالها ـ فهو ما يُذاع عن توثب دول صغيرة لاقتناء الأسلحة النووية أو لصنعها . أقول ذلك لمناسبة ما عُرف من تعاون بين جنوب إفريقيا وإسرائيل فى ذلك المجال ، وما يجرُّ إليه حتماً من سباقٍ بين الدول المهددة إلى اقتناء ذلك السلاح أو صُنعه أو التسلح بما يُضاهيه فى القوة والفتك .

إن حصول أى دولة صغيرة على هذا السلاح ـ فى الوقت الذى ينبض فيه ضمير الدول الكبرى بالتخلص منه ـ يعنى إخلالا بالتوازن الدولى ، وهزًّا للأمن البشرى ، وتهديدًا فِعليًا بخراب يتعزز حصره فى موضع محدود

من الأرض فعلى هيئة الأمم أن تنظر إلى أى مسعى من هذا النوع باعتباره تهديدًا لأمن وتوازن العالم ، وعليها أن تضع الضوابط الحاسمة للدفاع عن البشرية . وليس فى وسع دولة أن تخرج عن المصلحة البشرية العامة إذا وُوجِهَتْ حقًّا بالعقوبات الدولية الصارمة ، مثل المقاطعة الشاملة اقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا .

إن هذا الخطر أفظع من خطر الإرهاب والمخدرات ، وأعجل من خطر التلوث ، ولا يتصور التهاون فيه أو التسامح معه إلا من ضالع فيه على نحو ما . إنه امتحان وأى امتحان ، فإمَّا التزام بالانتماء البشرى ، وإمَّا تسابقٌ إلى الجحيم .

١٤ / ٥ / ١٩٩٢

تجربة شبابية قيمة

دأبت الجامعة الأمريكية على أن تقيم نموذجًا مُصَغَّرًا لمنظمة الأمم المتحدة يُشارك فيه طلبة من جامعات أمم متعددة ، بهدف استثارة اهتمام الطلبة بالقضايا العالمية ، وتهيئة الفرصة لدراستها واقتراح الحلول لها .

وقد دعانى ذلك إلى مزيد من التفكير فى أنشطة التجمع الشبابى الكبير التابع للمجلس الأعلى للشباب . والحق أنه مما يَسُرُّ أنْ يحظَى الشباب من خلال السياسة المرسومة لتربيته بما يقيم له قاعدة تَجْمَعُ بين استنارة العقل وسلامةالجسم ، وإضافه إلى ذلك نرجو أن يستفيد من ذلك الأسلوب الذكى الذى ابتدعته الجامعة الأمريكية فى فتح مجال جديد للتربية الوطنية والإنسانية .

وأتصور أن تبدأ التجربة بأن تطرح على مؤتمر من الشباب الممثل لشباب الجمهورية قضية أو أكثر من قضايانا الداخلية ، وقضية أو أكثر من قضايا العالم ، مثل البطالة ، والمخدرات ، والعنصرية ، والإرهاب ، على أن تقدم له بعض المساعدات ، مثل دعوة بعض المتخصصين لإلقاء محاضرات عامة ، أو إدارة ندوات متخصصة ، أو لفت الأنظار إلى بعض المراجع المهمة ، كى يدلوا بآرائهم فى النهاية ، وأن يعرض ذلك

عند المناقشة العامة تحت إشراف الأساتذة المتخصصين فى شتى القضايا .

ولَعَلِّى فى غِنًى عن ذكر الفوائد التى يجنيها الشباب من تلك التجرية ، ولكنى أذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ حث الشباب على الاهتمام بالقضايا الداخلية والعالمية فى مختلف وسائل الإعلام .

٢ ـ الارتباط الوجدانى والعقلى بالوطن والعالم ، مما يُخرج الشابَّ من اللامبالاة والسلبية .

٣ ـ تكوين نواة عاطفية للانتماء الوطنى والعالمى ، وفى ذلك مافيه من تدريب لخَلْق المواطن الصالح والمواطن العالمى .

بالإضافة إلى تزويد الشاب بقدر لا يُستهان به من الثقافة الاجتماعية والسياسية والفنية ، وتعويده على التفكير المستقل ، والتحلى بآداب المناقشة .

٤ / ٦ / ١٩٩٢

تحية لواهبى السعادة

« بتشان » الممثل الذى فَتَنَ الشبابَ وأغضبَ الحُكماء ، خلاصة قضيته أنه يحظَى بالحبُ والإعجاب و إقبال الشباب حيثما وُجِدَ . ورأت نخبة من قادة الفكر فى ذلك السلوك سخفًا وتفاهة لا يليق بالشباب الناضج المثقف ، وأن الفن الذى يمثله الفنان الهندى فن بسيط وساذج، يستمد جاذبيته من التسلية الخالصة الخالية من أى قيمة . وتساءل الآخرون : إذا كان لدى فئة من الشباب هذا القدر من الإيجابية ، فما تفسير اللامبالاة حيال الخطير من الأمور والحوادث ؟

المسألة بكل بساطة أن ذلك رجل قد وُفِّقَ بعمله وموهبته فى إهداء السعادة إلى قلوب كثيرة ، فاحتفَى به مَنْ فازوا بالسعادة على يديه ، ودفعهم الوفاء إلى رد شىءٍ من الجميل إليه ، فما جزاءُ الإحسانِ إلاَّ الإحسانُ .

إنها ظاهرة صحية وأخلاقية ، ولن يهون من شأنها سذاجة التسلية التى يقدمها ، ولا اللامبالاة التى يلقون بها أمورًا أجَلَّ وأخطر فى حياتنا .

أمَّا من ناحية التسلية فهى درجات ، وهى تبدأ بالتسلية الساذجة الخالية من أى قيمة ثقافية ، ولكن لها حظها من البهجة والسرور . وقد مررنا جميعًا بذلك الطور من التسلية وعشقنا رموزه ، وحفظنا ذكرياته فى

أعز مكان من قلوبنا . وبتقدم العمر يجىء طور النضج والقيم ، وتُطَعَّمُ التسلية بالاستنارة والفكر ، فلماذا يتعجل الأساتذة النقاد الأمور ؟ . . لماذا يريدون أن يفرضوا أذواقهم على أبنائهم بدون مراعاة للسن والعصر ؟ الحق أننا قصَّرنا فى حق الشباب فيما يتعلق بتعليمه وثقافته وعمله ورزقه، ثم نضن عليه بشىء من السعادة البريئة والاحتفاء بمن وهبوها له بغير حساب .

ومن ناحية المبالاة واللامبالاة ، فلقد نادى « بتشان » إيجابيتهم فلبت، ووجدوه أهلها . ولعل إيجابيتهم أن تتحرك على نفس المستوى فى مجتمعهم لو صادقَتْهُم الشخصية المؤثرة المقنعة التى تتصدى لحل مشاكلهم بالقوة والعزم ، والتى تطرح نفسها قدوة ورمزًا ومثالاً كريمًا .

تحية لواهبى السعادة للناس فى هذه الحياة المملوءة بالمحن والكوارث .

٢٥ / ٦ / ١٩٩٢

غداً يوم اخر

كيف نعايش العالم الجديد ؟

إنه عالم جديد حقًّا مهما يكن مضمونه . بعد زوال الاتحاد السوفيتى تلاشت صورة قديمة لتحل محلها صورة جديدة . يقول قادة العالم الجديد : إنه يقوم على الشرعية الدولية واحترام حقوق الإنسان ، على حين يعتقد بعض المخضرمين أن العالم القديم مازال قائماً فى أهدافه ، ولكنه يفصح عنها بأسلوب إنسانى جديد .

وأُعاود السؤال : كيف نُعايشُ هذا العالم ؟

علينا أن نصدق كلمات الخير ، فهى عهد والتزام ، وألاَّ نتخلى عنها حتى تسفر عن حقيقتها أن تكون لها حقيقة أخرى ، هذا خير من المبادرة بسوء الظن الذى لن يَجُرَّ علينا إلاَّ التورط فى الأخطاء والمشاكل . ومن حُسن الحظ أن سياسة العالم الجديد لا تُطالب الأمم النامية إلاَّ بالديمقراطية والسلام والتنمية واحترام حقوق الإنسان ، وجميعها أهداف طالما تَطَلَّعْنَا إليها بدون توجيه أو إملاء ، وإنه لَمِنْ حُسْنِ الحظ حقًّا ألاَّ تتناقض مع مصلحة الأقوياء فى العالم الجديد ، وقد يحد ذلك من دورنا السياسى والعسكرى ، ولكن لا عقبة يمكن أن تعرقل تقدمنا فى مجالات الحضارة الأخرى ، مثل العلم والثقافة ، وهى الأهم والأبقى .

وعلينا أيضًا أن نوسع من نظرتنا إلى العالم ، وألاَّ يغيب عن بالنا أنه يجمع بين كبار وصغار . وأن مسئولية كل فريق يجب أن تتناسب مع حجمه وعطائه .

ولكن كيف يكون الحال لو تمخض الكلام الجميل عن وجه قبيح ؟

حقًّا نحن لا نملك القوة الرادعة ، ولكننا نملك الإرادة والعزيمة والرغبة فى الحياة الكريمة واحترام المبادىء الإنسانية . ونستطيع أن نتكتل فنكون قوة ، ونمارس مقاومة سلبية لا يُستهان بها . وقد كنا جميعًا مستعمرات ـ أو فى حُكم المستعمرات ـ وكنا بلا قوة مادية ، ولكننا انتصرنا على أصحاب القوة والحَوْل ، وفُزْنَا بالحرية والاستقلال .

غير أنى أعترف بأننى مازلت متفائلاً ومؤملاً خيرًا .

١٩٩٢ / ٧ / ٩

الحلم فى حاجة إلى عمل

نفكر فى العالم الجديد فنتفق ونختلف ، نتشاءم أو نتفاءل ، ونكتفى بالانتظار حتى تكشف لنا الأيام عن حقيقته ، وذاك موقف سلبى ، خاصة لمن يرجون غدًا أفضل ، وعالمًا أعدل وأرحم ، والحق أن العالم المأمول لن تقوم له قائمة ، لن يصبح حقيقة واقعة ، لن يندرج فى الأخلاقيات العامة الثابتة والقيم السامية إنْ لم يَثِبْ كُلُّ مسئول وكُل أُمَّةٍ للمشاركة فى خَلْقِهِ ، والدعوة إلى فلسفته ، والعمل على فَرْضِه ، والإيمان بمبادئه.

ولن يَتَأَتَّى ذلك إلاَّ بتصديق كل كلمة طيبة عنه تصدر من زعيم عالمى ، أو دولة كبرى ، والتنويه بها ، والثناء على قائلها ، وإشعاره بحمل أمانتها أمام العالم وأمام التاريخ .

ولن يتأتى ذلك حتى تنشط الدول المكونة لهيئة الأمم إلى تقوية هيئتها ، وإكسابها من الحقوق والصلاحيات ما يجعلها تصلح يومًا لتكون برلمانَ العالم حقًّا المهتم بحل مشاكله وتقرير مصيره ، وأن يتبع ذلك ما يناسبه من زيادة الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن ، وتقوية محكمة العدل الدولية وزيادة اختصاصاتها .

ومن هذا المنطق من التفكير رحبنا بما نشرته الصحف عن اقتراح

الدكتور بطرس غالى لإنشاء قوة السلام التى نرجو أن تكون ممثلة لأمم العالم على قَدْرِ الطاقة ، وأن يشترك فيها العالم الثالث بنسبة معقولة .

ووجود هذه القوة ضرورة ، حتى إذا لم يلجأ إليها إلاَّ فى الحالات النادرة التى تفشل فيها التحذيرات ومختلف العقوبات السياسية والاقتصادية .

يجب أن نأخذ ذلك الأمر مأخذ الجد ، وخاصة أننا مُقبلون على مواجهة قضايا هامة ، مثل قضية السلام ، والقضاء على أسلحة الدمار الشامل . وعلى مَنْ يريد عالمًا جديدًا أفضل أَنْ يقرن النية بالعمل .

١٦ / ٧ / ١٩٩٢

دار بقاء أم دار فناء ؟

تذكرون ولا شك مؤتمر قمة الأرض بريودى جانيرو . تذكرون مطالب الفقراء والاستجابة المحدودة للأغنياء ، والخيبة العامة التى أصابت كل من يهتم بالغد القريب والغد البعيد للأرض وسكانها . لا أنوى تقديم قول معاد ، فقد قيل كل ما يمكن أن يُقال ، ولكن أريد أن أتحدث عن انطباعات لا يجوز أن نمر بها دون تسجيل .

فقد أصبحت الأرض بين يوم وليلة قضية هامة من قضايا البشرية ، بل لعلها أهم قضاياها جميعًا ، فرضت الاهتمام بها على المثقفين ، وطرقت وَعْىَ الرجل العادى المتابع للنشاط الإعلامى اليومى ، وقد يكفى هذا كبداية لإنجاح ما عجزت المساعى عن إنجاحه فى المؤتمر . أرجو أن يكون قد وقر فى الضمائر أننا إذا لم نُول الأرض ما تستحقه من احترام فلن تَهَبَ لنا ما نستحقه من حياة وازدهار .

أيضًا كان البعض يتساءل عن عدو جديد بعد زوال الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتى . قالوا : إن الأقوياء لا يعيشون بدون عدو ، لابد مِنْ تَحَدٍّ ليقيموا فى مواجهته مشروعًا للقوة والإبداع والحضارة . ها هو ذا عدو يطل علينا من رحاب الطبيعة ، يهدد الجميع ، وإن كان خطره يحلُّ أولا بالضعفاء والفقراء . وهو يهدد بالجفاف ، والحر ،

والجدب ، والتلوث ، والفيضانات ، والزلازل ، ويدعو الجميع إلى التحالف ، وإلى نبذ الخلافات العَرَضِية ، وإلى تغيير المعاملة مع الطبيعة ، من معاملة تقوم على الاستغلال والتسلط والسَّفَه إلى معاملة تقوم على التعاون والحِكْمة والنظرة المستقبلية البعيدة .

من أجل ذلك كله لا أتصور أن المؤتمر قد فشل فشلاً ذريعًا كما تصور البعض . لقد تقررت إعانات ـ وإنْ تكن أقل مما يجب ـ وسوف تنعقد مؤتمرات أخرى ، لأن القضية أهم وأخطر من أن تُتْرَكَ بلا متابعة .

وربما أدرك الإنسان يومًا أن اكتشافه الحديث للفضاء لم يكن مجرد توفيق علمى سعيد الحظ ، ولكنه جاء فى وقت تمس الحاجة إليه !

١٩٩٢ / ٧ / ٣٠

الجامعة الأهلية

اختلف القول حول الجامعة الأهلية ، ولكنى لا أدرى كيف أُعترِض على إنشاء دار للعلم ، وخاصة أن الدولة لن تتكلف مليماً فى إنشائها . إنَّ القادرين يستطيعون أن يُنشئوا الملاهى الليلية إذا شاءوا ، فكيف نُحَرِّمُ عليهم إنشاء دور العلم ـ حتى لو كان الهدف الأول لذلك هو تهيئة الفرصة لتعليم أبنائهم الذين فشلوا فى الالتحاق بالجامعات الرسمية ؟ إن التعليم على أى حال حق لكل مواطن ، ولم تُفرض القيود عليه إلاَّ لكثرة الأعداد وقلة الأماكن ، والعبرة فى النهاية بالنجاح .

إن للمشروع إيجابيات يجب أن تُذكر ، منها : أنه سيوفر لتعليمنا العالى تخصصات حديثة لم تَحْظَ بالتعامل معها جامعاتنا الرسمية للأسف الشديد . ومنها أيضاً أنه سيخصص للمتفوقين ٢٥ ٪ من المقبولين المجان . فهو نصر للتقدم العلمى ، ونصر للمتفوقين من أبناء الأمة ، ولا بأس من أنه يهيىء فرصة لمن خانهم التوفيق ، وهم على أى حال كانوا يحصلون على تلك الفرصة بالالتحاق بالجامعات الأجنبية ، وإنفاق المصروفات الباهظة ، ومعاناة الاغتراب ، والتعرض لمخاطر شتى ، فلِمَ لا تُحَل المشكلة بأموال ذويهم ؟ ولِمَ لا يُستثمر المال فى مجال العلم كما يُستثمر فى الزراعة والصناعة ؟ وإذا كان الفاشلون من الفقراء لا يجدون نفس الفرصة فاللوم يجب أن يقع على الدولة لا على القادرين .

وهذا يسوقنا إلى سؤال آخر مُحَيِّر : كيف مضت الأعوام فى إثْرِ الأعوام ونحن راضون أو ساكتون على حال جامعاتنا المتردية ، التى تعيش متأخرة عن العصر ؟

لقد أنشأنا من الجامعات المتأخرة ثلاث عشرة ، وأعتقد أن دعم جامعة قائمة كان أفضل من إنشاء جامعة جديدة متأخرة ، ولكننا تحيزنا للكَمِّ أكثر من الكيف ، وعجزنا عن الارتقاء بجامعاتنا ، لدرجة أن بعض المسئولين راحوا يدافعون عن فكرة الجامعة الأهلية استنادًا للحالة المتردية لجامعاتنا الرسمية .

نحن نعاصر زمنًا لا يحتمل هذا التهاون أبدًا ، فليكن فى إنشاء الجامعة الأهلية سَدٌّ لثغرة قبيحة ، وحافز على الارتقاء بجامعاتنا الرسمية، وسيذكر التاريخ ذلك الفضل لمنشىء الجامعة الأهلية .

١٩٩٣ / ٨ / ٢٧

البطولة بين الواقع والحلم

هكذا ذهبنا إلى برشلونة . . هكذا عدنا من برشلونة .

لن أحدثك عن أسباب ذهابنا مع تأكدنا ـ تقريبًا ـ من لا جدوى السياق . فعلى أى حال يجب أن يكون لنا وجود فى عالم الرياضة ، ويجب أن يرفرف لنا علم ، والرياضة ليست رهانًا على الفوز فحسب ، ولكنها مشاركة فى نشاط جميل ، والروح الرياضية الحقة لا يغرها الفوز ، ولا يهزمها الخسران ، ولكنها تحافظ على توهجها فى جميع الظروف والأحوال .

لكن لا مفر من السؤال عن أسباب فشلنا الشامل : كيف لم يتألق ولو بطل واحد ؟ لا تَقُلْ إنَّ المنافسة على مستوى العالم مطلب شاق أو شبه مستحيل ، فنحن لا نخوضها لأول مرة ، ولنا فيها مع الفوز تاريخ ، وأىّ تاريخ ، والرياضة لا تفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين شمال وجنوب ، وقد أحرزنا فيها انتصارات بطولية خارقةفى الكرة، ورفع الأثقال ، والسباحة والملاكمة ، والمصارعة ، وغيرها ، برغم انتمائنا إلى ما يُسمى اليوم بالعالم الثالث ، بل حتى قبل تحررنا من الاستعمار ، كانت الرياضة متنفسًا كريمًا على مستوى العالم ، نثبت من

خلاله جدارتنا ، ونعلن عن إمكاناتنا الكامنة ، فكيف تدهورنا فى زمننا الأخير بعد التحرر والتقدم فى كثير من الأبعاد الحضارية ؟

الأمر - فى نظرى - لا يحتاج لأكثر من الحب والطموح والتدريب ، أن تحب رياضتك . وأن تطمح إلى التفوق ، وأن تتدرب على ذلك ، هكذا فعل السيد نصير ، ومختار حسين ، والتونى ، وإسحاق ، وعمرو ، وحسين حجازى ، والسوالم ، وغيرهم وغيرهم . فمن أين جاءنا ذاك الإجماع على الخيبة ؟ لا شك فى أن كل لاعب لا ينقصه الحب للعبته ، ولا يعوزه الطموح للتفوق ، ولكن النقص - ولا شك - يكمن فى التدريب فى العمل ، وفى الاستمرار فى الممارسة .

إن الحب مطلوب لمختلف العلوم والفنون والوظائف والطموح لبلوغ أعلى الدرجات . . ولكن لا يوجد صبر على العمل والمثابرة ، لم تعد توجد الإرادة الصلبة ، والعزيمة الحديدية ، والطاقة التى لا تنفد . اللهفة دائماً على الاهتداء لأقصر طريق ، وأقل زمن ، وأتفه مجهود . إنه زمن الوسائط والقفز والسُّبُل غير المشروعة ، والاعتماد على أى شىء ، إلاَّ النفس والعمل .

وقد تصادفنا المصاعب عند تجديد أنفسنا فى مجال العمل ، أما الرياضة فمصاعبها أهون ، ومغالبة السلبيات فى مجالها أقرب إلى التحقيق . فلنعزم من جديد ، ولنشحن عزيمتنا بالقوة والتصميم والعاقبة للمجتهدين .

١٩٩٣ / ٩ / ٢

هموم ثقافية

الثقافة تمر بفترة متوعكة ، هذا ما يُقال كلما دار الحديث حولها . لِمَ لا؟ألاَ توجد أزمة عامة ملموسة ، فكيف تفلت من قبضتها الثقافة ؟ والدولة تواجة الأزمة بالتنمية الشاملة ، والخطط الخمسية المتتابعة ، وللثقافة فى ذلك نصيب تجلت آثاره فى ظواهر مبشرة ، أقربها إلى الذاكرة نجاح مجلات « إبداع » و « فصول » و « القاهرة » : ولكن ذلك لا يمنع من أن نذكر كلمة عن متاعب الثقافة ، لعلها تلخص بعض ما يقال . . فهل توجد عقبات عامة فى طريق الثقافة ، بصرف النظر مؤقتًا عن التفاصيل التى تخص كل مجال ثقافى على حدة ؟

الحق أنَّ أول ما يُشار إليه هو « التليفزيون » لجاذبيته التى لا تُقَاوم ، وشعبيته الكاسحة التى بفضلها أصبح المصدر الأول للإمتاع والإعلام والإرشاد والثقافة الميسرة . والتليفزيون ليس سلبية عارضة ، ولكنه تطور علمى وحقيقة عصرية ، لذلك لا يجوز أن يفكر عاقل فى محاصرته ، ولكن يجب العمل دائمًا على التوافق معه ، وإيجاد السبل للتعاون بلباقة وذكاء ، مِمَّا يعود على الناس بالخير والنفع فى سبيل إمتاعه وإعلامه وإرشاده وثقافته ، وقد أدَّى فى ذلك عملاً جليلاً للمتعلمين والأُميين على السواء ، ومازالت الفُرص متاحة للمزيد ، وأنا على يقين من أن ما

خسرته الثقافة الجادة الممثلة فى الكتاب بسبب « التليفزيون » تستطيع أن تعوضه بالتليفزيون نفسه .

وثمة « عقبة » ثانية ، هى الأزمة الاقتصادية ، وهى حال يجب أن تزول ، كما يجب ألا نَتَراخَى فى مقاومتها ، ويوم نتغلب عليها سيعود إلى الثقافة قدر كبير من توازنها المفقود ، أما ونحن نعانيها فهى لا شك عقبة ثقيلة غليظة فى سبيل الانتشار الثقافى . ولعل فى نشر المكتبات وتجديد دار الكتب ما يمكننا من التخفيف من وطأة هذه الأزمة .

وأيضًا توجد عقبة ثالثة لا يصح الاستهانة بها ، وهى تأثير الآراء المتطرفة على الشباب فى هجومها على الفنون والآداب والفكر ، واستقطابها فى ذلك للعديد من الشباب الذين كرهوا الثقافة تأثرًا بها ، ولعله من المفيد ألاَّ يخلو الحوار الدائر مع هؤلاء الشبان من الدفاع عن الفن والثقافة والفكر .

على كل من يهمه بناء الإنسان وتكوينه ألاَّ يفوت فرصة للدفاع عن الثقافة ، والعمل ما وسعه ذلك على ازدهارها .

٢٤ / ٩ / ١٩٩٢

الرجال القدوة

خانتنا الذاكرة ، بل قد خانتنا عن عمد وإصرار ، فأصبح من ضمن ما نعانى نسيان المجد . ثم قطيعة غريبة فَصَلَتْ ما بين ماضينا وحاضرنا، أُهِيلَ الترابُ على مناجم من الذهب ، وبتنا وكَأَنَّ لا أصل لنا . ونشأت أجيال وأجيال لا تعرف لنفسها جُذورًا ، ولا تهتدى فى سبلها بقدوة . لعل ذلك كان ضمن أسباب كثيرة انزلقت بنا إلى الإرهاب ، أو على الأقل إلى الضياع .

كان لنا عقول فَذَّة فى كل مجال ، وكانت لهم إنجازات رائعة لا يجوز أن تُنْسَى . كان لنا زعماء فى الوطنية والسياسة ، ورواد فى الاقتصاد والعلوم الطبيعية والهندسية والطب والزراعة ، ومجددون فى الفكر الدينى والأدب والحرية . أسماء كبيرة ، لكل منها عبقريته ودَوِيُّه ، وأثره العميق فى عصره وما تلاه من عصور ، وجميعهم يستحقون أن يكونوا مادة خصبة فى التربية الوطنية فى مراحل التعليم ، كما يصلحون نجومًا لبرامج فى الإذاعة والتليفزيون ، وما يمنعنى من تعداد الأسماء إلاَّ أن أسهو عن بعضها فأرتكب إساءة بغير قصد كما ارتكبها الغير بقصد . أيضًا فإننى لا أدعو إلى إحياء ذكراهم إكرامًا لهم وعرفونًا بفضلهم فحسب ، ولكن لأن فى ذلك تربية أخلاقية وعلمية ، ونشرًا للمُثُل العليا ، وتقديمًا لخير

القدوات فى كافة الأنشطة الإنسانية ، وإعزازًا وتكريمًا لمصر وسيرتها وتاريخها .

إنَّ العناية بأهل الفن موفورة ، وهى عناية جميلة ومشكورة ، ولكن لا يجوز أن تقل عنايتنا بالآخرين من بُناة الوطن عن ذلك .

٢٢ / ٦ / ١٩٩٣

فلنصنع العالم الجديد

النظرة العامة تدعو للاكتئاب . . ما يحدث فى البوسنة ، وما وقع فى الصومال ، والضربة الأخيرة التى تلقاها العراق ، كل هذا يدعو إلى الاكتئاب . ويتهم المسلمون ميزان العدل الدولى ، ويكشفون عن نية سوء مُبَيَّتَة ضد الإسلام والمسلمين ، ويثور الغضب ويحتدم ، ولكن تنحسر موجاته الفائرة عن تبرعات من هنا أو هناك ، وسخرية مريرة مِمَّا بشروا به يومًا وسموه بالعالم الجديد .

والحق أننا لم نعرف سلوكًا دوليًّا جديدًا إلاَّ لدى التجاوب مع مصلحة الأقوياء . ولكن لعل النظام الجديد لم تستقر معالمه الجديدة نهائيًّا، ولعل غده يكون خيرًا من يومه . . ولكن هل يقتصر دورنا على الانتظار؟ إنى أتصور أن العالم سيرحب بمن ينوى المشاركة الصادقة فيه . من يعتبر نفسه خلية فى جسده ، ووظيفة من وظائفه مهما يكن حجمها . من يحترم مبادئه العامة ويسهم ـ برغم خصوصيته ـ فى سيمفونيته الكلية ، الذى يحاول الإعطاء بقدر ما يأخذ ، أو نظير ما يأخذ ، الذى يثبت أنه جزء حضارى لا يستغنى عنه ، أو فى الاستغناء عنه خسارة يؤسف بها .

لتكن لنا خصوصيتنا ، ولكن هذا لا يعنى أن نناقض المجموع أو

نضاده أو نسير عكس اتجاهه . إنَّ الخصوصية نغمة مُمَيَّزَةٌ تزيد من جمال الأنغام المتقابلة ، ولكن لابد من التوجه نحو روح العصر :

١ ـ نحو الديمقراطية كأسلوب حكم وأسلوب حياة .

٢ ـ نحو العلم كمنهج ووسيلة للكشف عن الحقائق والتعايش معها .

٣ ـ نحو احترام حقوق الإنسان كمناخ صالح للتعارف والتعايش .

علينا أن نفعل ذلك وأكثر منه لنُسهم فى خَلْقِ العالم الجديد لا أَنْ نَقْنَعَ بالانتظار تحت مظلة الحسرات .

١٩٩٣ / ٨ / ٢٦

عندما نعزم على صنع المستقبل

أسباب المعاناة كثيرة ، إنها تحتل مواقعها فى ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد ، هموم متشابكة فى الداخل والخارج ، تشغل بالنا بالليل والنهار ، وتفترس استقرار النفوس والعقول .

لكن دعنا ـ ولو على سبيل الراحة ـ نلتمس أسبابًا للأمل ، وهو ليس نشاطًا من قبيل أحلام اليقظة ، فجذوره ممتدة فى الواقع ، كامنة فيه ، تنتظر من ينفخ فيها الحياة .

خذ على سبيل المثال تزايد عدد السكان فى مصر . إننا نعده اليوم مشكلة شريرة تهدد الإنتاج والتنمية ، ولكن كيف يصير الأمر إذا تفرغنا يومًا لتنمية البشر وإعدادهم الإعداد المثالى للعصر والتقدم والبناء والتنوير ؟

سنجنى ثروة لم تكن متوقعة . ننتفع بها فى حدود المتاح ، وقد ينتفع بها الآخرون من ذوى القربة والجيرة .

وخذ مثلا آخر ، فالصحارى المحيطة بنا شاسعة مترامية متجهمة ، والماء محدود ، والطلب عليه يشتد ، ولكن العلم ذو حيل ومهارات ، وقد يخلق من الحبة قبة كما يقولون ، وربما أسفر المستقبل عن وجود مزدهر فى سيناء والغرب والشرق .

وخذ مثلا ثالثًا ، القوة العربية العاطلة عن العمل ، إنها اليوم مبعثرة لا يجمعها إلا الكلام المنمق والقليل من التعاون ، لابد أن تبرأ يومًا من أعراض المرض ، ويُزايلها سوء الظن والامتعاض كى تدب الحياة فى أوصالها ، ويتوجهوا جميعًا نحو قِبلَة التكامل الاقتصادى ، فينقلب العملاق بالاسم إلى عملاق بالفعل . وثمة أحلام عن إفريقيا والبلاد الإسلامية .

حقًّا إنه مستقبل ثرى ، يختفى وراء حاضر عسير ، وما علينا إلاَّ أن نعرف قيمة الزمن ، إنه نعم النصير لمن يحترمه ، ولكن لا يجامل ولا يرحم الكسالى المتواكلين .

٢٢ / ٩ / ١٩٩٣

الأولويـات

الحق أن البحث فى الأولويات لا معنى له . . يكون له معنى لو أمكن أن نقدم مطلبًا ونؤخر آخر حتى نفرغ من الأول . . ولكن أى نشاط فى حياتنا يمكن أن نؤجله ولو ساعة واحدة ؟ من أجل ذلك فلا محيد عن التنمية الشاملة . غير أن ذلك لا يمنع من إمكان المفاضلة بين الأنشطة المختلفة من ناحية الأهمية أو القيمة على ضوء المثل الأعلى الحضارى الذى نستهدفه . وعلى هذا الأساس أستطيع أن أتحدث عن الأولويات عارضًا وجهه نظر خاصة .

فأول ما أضع فى القائمة هو التعليم ، أو حلم المدرسة الكاملة ، والمدرس الكامل ، والمنهج الحر المبدع ، والتربية بكافة أنواعها : الدينية والقومية والثقافية والفنية والرياضية ، وذلك المصنع الذى يقدم لنا النموذج الطيب للإنسان المصرى العربى ، الإنسان الجامع بين القيم الخالدة والمُعاصَرة الحية .

وثاني ما أضع فى القائمة البحث العلمى ، بتهيئة المناخ الصالح له ، وإعداده بما يحتاجه من أجهزة ، وتوفير أسباب التقدير والتشجيع للباحثين ، وذلك باعتبار العلم هو الأساس لكل نشاط ، بدءًا من الاقتصاد وحتى الرياضة البدنية .

وثالث ما أضع فى القائمة « الإدارة » ، باعتبار الإدارة الصالحة هى الأساس لنجاح أى نشاط حكومى أو أهلى .

ولا أحب أن أقدم المزيد من المفاضلة حول الأنشطة الباقية . لا بأس من أن ننظر إليها نظرة واحدة ، ونقدرها بميزان واحد .

أخيرًا أحب أن أقول : إنه لا جدوى من إصلاح التعليم والبحث العلمى والإدارة إذا لم يَقُمْ التخطيط على أساسٍ من ديمقراطية تُؤَصِّل الحرية واحترام حقوق الإنسان .

٩ / ١٢ / ١٩٩٣

الكوارث فى الميزان

فى بعض الكوارث ، وعقب وقوعها ، تبين لنا من متابعة الأخبار أن الحادثة كانت متوقعة ، وأن الجهات الرسمية سبق أن أنذرت الناس بها ، وأنها طالبتهم بإخلاء البيوت أو الابتعاد عن المكان المُهَدَّد ، ولكن أحدًا لم يستجب ، كما أن الجهة الرسمية لم تتخذ أى إجراء لتنفيذ ما يقتضيه الصالح العام .

ما تعليل ذلك ؟

نحن نحاول تقصى الأسباب ، لعل ذلك يساعد على تغيير المواقف مستقبلا ، وعلى تجنب الكوارث والتخفيف من عواقبها المؤسفة .

فمن أهم أسباب السلبية هنا أن استبدال مسكن بآخر ، أو الارتحال من مكان إلى غيره ، ليس مِمًّا يُتاح للأغلبية الكبرى من الناس ، فمساكن الإيواء غير كافية ، وأزمة المساكن معروفة ومحفوظة ، لذلك يفضلون البقاء فى مأوى مهدد بالسقوط عن التشرد فى الطرق بلا مأوى .

ومن أسباب ذلك أيضًا ميلنا الطبيعى إلى التواكل وارتياحنا إليه ، وتسليمنا المطلق للمقادير ، وعندنا أن المكتوب أقوى من تحذير المحذرين ، وتنبؤ المتنبئين ، ولعل المسئولين المختصين لا يخلون من ذلك الميل ، فهم يلقون بأوامرهم ولا يبالون أن تتبخر فى الهواء .

ثم إن جميع التحذيرات تجيء نتيجة لتقديرات علمية ، ونحن لم نتعود بعد على أن نعطى العلم تقديسه الواجب ، قليلون من يُصَدِّقُون ذلك ، والأكثرية لا توليه ما يستحقه من جدية واهتمام .

وأنا لا أشك فى أن الجهة الرسمية المختصة لم تكن لتتعامل مع الأمر بذلك الاستهتار لو كانت تكنُّ للآدميين من المواطنين احترامًا حقيقيًا وحُبًّا وطنيًّا صادقًا ، ولن ننسى أن الحكومة مسئولة أولاً وأخيرًا عن مشكلة المساكن وحماية الأرواح .

١٩٩٤/١/٦

الحــزن والغضــب

يحق لأهل الفكر والإبداع أن يحزنوا وأن يغضبوا . . يحق لهم ذلك لا لأن استجوابًا عن الثقافة قُدِّمَ فى مجلس الشعب ، ولكن لأن ذلك الاستجواب قد نكأ جراحًا كثيرة لا تندمل ، وأعاد إلى بؤرة الوعى والتذكر مأساة الثقافة كلها .

والحق أن الاستجواب لم يفاجئنا بجدية البتة ، وما فَعَلَ إلاَّ أن عرض قضية قديمة عن علاقة الأدب والفكر بالدين من ناحية ، والأخلاق من ناحية أخرى ، وهى قضية قديمة ، تتحرك لدى كل مناسبة ، أو حتى بدون مناسبة ، ولا يمكن أن يُحْسَم فيها برأى واحد نهائى ، فليس الاستجواب هو ما أحزن وأغضب المثقفين ، لكنه دفعهم لمواجهة واقعهم المتوتر ، وتذكّر ما وقع فى عالمهم من اتهامات خطيرة ، ومصادرات كُتب غير قليلة ، وإحراج الرجال منهم ، وانتشار الخرافات والآراء السقيمة من خلال وسائل الإعلام المختلفة ، بالإضافة إلى الآراء المتطرفة التى تُحَرِّمُ الأدب والفن ، حتى ولو خلت أشكاله من أى مساس بالدين أو الأخلاق ، وتتم الحلقة الخانقة بالتردى الثقافى العام الذى حتمته الأزمات الاقتصادية والاجتماعية .

بذلك كله توافرت أسباب الحزن والغضب ، ووجب على الجميع أن يعيدوا النظر فى كل شىء يتعلق بنشاطهم السامى .

يجب أن يدور الحوار فيما بيننا ، وفيما بيننا وبين الدولة ، على المحاور الآتية ، وما يقترح من محاور جديدة :

١ ـ دور المدرسة فى التربية الثقافية .

٢ ـ دور التليفزيون .

٣ ـ إلغاء الضرائب عن الورق ومستلزمات الطباعة ، وتحرير تصدير الكتاب من أى قيود .

٤ ـ أن تقوم المناقشة عند اختلاف الرأى مكان القانون .

٥ ـ زيادة ميزانيات المجلات الثقافية مساعدة لها على النهوض والمنافسة .

٦ ـ أن يعنى بجهاز الثقافة الجماهيرية ليؤدى رسالته على أكمل وجه .

١٩٩٤/١/٢٣

المهمة المطلوبة

كيف نرتفع بقدرتنا الإنتاجية إلى أرفع مستوى فى الكيف والكم ؟

الإجابة يجب أن تكون صادقة وواضحة . . ولن يتم ذلك إلا إذا غيرنا الواقع ، فلم يعد هناك وقت لأنصاف الحلول ، ونحنُ مقبلون على مرحلتى سوق شرق أو سطية والجات . . ولن تتوافر لنا المهمة المطلوبة إلا بالشروط الآتية :

١ ـ تحقيق الاستقرار والأمان مهما كلفنا ذلك من مرونة وتضحيات .

٢ ـ رفع الأجور إلى الحد المناسب ولو فى حده الأدنى ، بحيث يستغنى العامل أو الموظف عن أى عمل إضافى ، ويتمكن من مقاومة الانحراف بأنواعه ، والتمسك بمبدأ الثواب والعقاب بكل دقة وأمانة .

٣ ـ الاستفادة الكاملة من العلم وتطبيقاته وبحوثه ، واستثمار الخبرات العلمية الوطنية ، والاستعانة عند اللزوم بالخبرة الأجنبية .

٤ ـ تحرير الإدارة وتجديدها ، والحرص على تنفيذ توصيات أجهزة الرقابة المالية والإدارية ، عودة إلى هيمنة القانون واحترامه وسيادته .

٥ ـ تأسيس المعاملة على العدل المطلق ، وتجريم الاستثناء والواسطة ، وتجريم كل ما يمس حقوق الإنسان أو يدفعه لليأس والإحباط .

٦ ـ مراعاة التفوق الحقيقى عند توزيع الأرباح والحوافز .

٧ ـ تشجيع الاستثمار بإزالة كافة العراقيل من سبيله ، وإتاحة الجو الذى لا يوجد إلاَّ فى ظل الديمقراطية الكاملة .

٦ / ٣ / ١٩٩٤

لاتيـأس

لا تيأس . أقولها من وحى المعرفة والإيمان وليس على سبيل الوعظ . ولا يغيب عنى مالم يغب عنك ، ويؤرقنى الذى يؤرقك ، برغم ذلك أقول لك : لا تيأس . لا تَغِيبُ عنى أنباء الفساد ، والديون ، وسوء الإنتاج ، والزيادة السكانية ، وتردى الإدارة ، والإرهاب ، والرجعية . . ولا تغيب عنى أنباء التلوث ، وفتحة الأوزون ، والجفاف ، والزلازل ، والمجاعات ، والخلافات القبلية ، واضطهاد الأقليات ، ومذبحة البوسنة ، وأسلحة الدمار الشامل ، وتفكك العرب . يجيش صدرى بذلك كله ، ولكنى أقول لك : لا تيأس .

أذكر فى الوقت ذاته أن الإنسانية بلغت ذروة من الحضارة لم تحلم بها من قبل . . المعارف تتراكم ، والاكتشافات تتزاحم ، والقيم تتكاثر وتتنوع ، ورحلات الفضاء تتعدد وتبشر بكل. عجيب .. والعلاقات البشرية تتهذب ، والضمير العائلى يولد ، وينشر من دفقاته معونات ورحمة واحترامًا لحقوق الإنسان ، ولا تنسَ التقدم المذهل فى مجال الصحة، ولا تنسَ جمال الإبداع ومتعته وما يهب من تأمل وحكمة، وانظر إلى تلك الحركة الدائمة نحو التقدم . . إنها تسير ، وتؤكد مسيرتها بالتصدى لما يعترض مجرى الحياة من سلبيات ، ولعله لولا ذلك النقص

لتوقفت الحركة . وقديماً واجه أجدادنا الجفاف وتهددهم الموت ، فأقبلوا على النيل ، واكتشفوا الزراعة ، وأقاموا أول صرح للحضارة فى تاريخنا المعروف .

فلا تيأس . الشر لم يوجد ليدفعك إلى اليأس ، ولكن ليدعوك لشحذ الفكر والإرادة والتأهب للثورة الدائمة .

٢ / ٤ / ١٩٩٤

الغـد القريب

قد يتعذر على المتابع للنشاط العلمى ـ ولو من موقف غير المتخصص ـ قد يتعذر عليه تصور عالم الغد من الناحية العلمية ، فذاك يقتضى إلقاء نظرة شاملة على العلوم ، تجمع بين الإنجازات التى تمت فى كل عام ، وبين الموضوعات تحت البحث ، ليقيم تصوره على أساس موضوعى . ولكن من المسلم به أنه سيتحقق تقدم يفوق كل خيال على المستويين النظرى والتطبيقى ، وأن ذلك التقدم سيؤثر فى كل شىء كائنٍ، بدءًا من باطن الأرض وحتى أعالى الفضاء ، مرورًا بالجماد والنبات والحيوان والإنسان .

سوف تتراكم المعارف لحد العجز عن الإحاطة بها ، وسوف تتعقد الحياة فى السلوك والعلاقات والتعامل مع الأشياء ، سواء فى المصانع أو المرافق أو الحياة اليومية ، من أجل ذلك قال وزير العمل الأمريكى : إنَّ القرن الحادى والعشرين هو قرن المواطن المتميز ، القادر على التفاعل الإيجابى مع التقدم العلمى فى جميع المجالات ، ولا بديل عن ذلك إلاَّ الارتباك والضياع والتعثر فى الحياة . إنه عصر العلم ، وفى كل يوم يكسب العلم مواقع جديدة فيزيد الحياة عظمة وصعوبة .

العلم يمد ذراعية ليحيط بكل شىء ، من الحَمَّام إلى المعمل ، فى

المواصلات ، والمؤسسات ، والملاهى .هو عصر العلم والعلماء والجمهور المتميز الحائز ولو على الحد الأدنى من القُدرة على التعامل مع دنيا علمية . وقد قرأنا أخيرًا أن بعض الخبراء يحذرون إنجلترا من الوقوع فى هاوية العالم الثالث ، وفى مقدمة الأسباب التى ينبهون إليها هجرة العقول العلمية المبدعة إلى الخارج ، حيث يجدون جوًّا أفضل للعمل والتقدير ، وهذا يحذرنا نحن أيضًا من مغبة هجرة العقول ، كما يلفتنا إلى أهمية الإبداع العلمى إذا أردنا أن نفلت من قبضة العالم الثالث .

وعلى مَنْ يفكرون فى تجديد التربية والتعليم فى بلادنا أن يضعوا فى اعتبارهم تلك النقطة ، أعنى الدراسات العلمية والمنهج العلمى ، وتكوين العقل الحر القادر على التفكير والابتكار ، طبعًا أهداف التعليم أوسع من ذلك ، ولكن العلم أساسًا هو ما يربطها بالعصر . وقد نشهد الإنسان غدًا وقد انقسم إلى نوعين : علمى وبدائى .

٥ / ٦ / ١٩٩٤

الحب فى الوطن

حب الوطن وأهله عاطفة شائعة ومعروفة ، حتى ليظن البعض أنها فطرية مثل الغرائز ، لكنها ربما لا توجد ، وقد يضعف الانتماء الوطنى لدرجة العدم . الحقيقة أن هذه العاطفة تنمو وتزدهر بالتربية ، كما تنمو وتزدهر فى المناخ الصالح والمجتمع السليم الصحى .

أما التربية الوطنية فهى التى تسكب فى قلوبنا الحب للوطن والحماس لتاريخه وأمجاده ، ويُعاونها فى ذلك دراسة التاريخ وبعض الأنشطة الثقافية . وتواصل تلك المهمة أجهزة الإعلام بشتى أشكالها المقروءة والمسموعة والمرئية . غير أن تلك التربية الشاملة لا تجدى وحدها إذا لم يؤيدها الفعل . الفعل الذى يهب الحب فيكون جزاؤه حُبًّا بحب ، وولاءً بولاء ، وانتماءً بانتماء .

فالمجتمع الذى يقدم لأبنائه الخدمات الضرورية من تعليم ورعاية صحية ومواصلات مريحة وأماكن نظيفة ومساكن مناسبة غير المجتمع الذى يقدم البعض دون البعض ، أو الذى يقدمها جميعًا على حال تسىء ولا تسر . وطبيعى أن الحب يختلف من حالٍ إلى حال .

والمجتمع الذى يوفر فرص العمل ، ويشملها بالحق والعدل ، غير المجتمع العاجز ، أو الذى يتنكر لمبدأ تكافؤ الفرص ، ويتأثر فى

اختياراته بالقرابة أو الصداقة أو السياسة أو الدين . والمجتمع الأول يحظَى بالحب والتقدير ، أما الآخر فيبوء بالغضب والتمرد .

والمجتمع الذى تُحْتَرَمُ فيه حقوق الإنسان والقيم السامية ـ يحظى أبناؤه بسلامة الروح والعقل ، أما المجتمع الذى يَسْتَغِلُّ أبناءَهُ ويُنكل بهم ويستهتر بقوانينه ، فلا يلقى إلاَّ جزاءً من جنس العمل .

اللهم عونك على خَلْقِ وطنٍ صالح يكون للحب ملاذًا وموضعًا .

١٢ / ٦ / ١٩٩٤

الصفات الضرورية

الذين يتولون المناصب القيادية فى الأمة تلزمهم صفات ثلاثة على الأقل هى : الوطنية ، والأخلاق ، والعلم والخبرة . يستمدون من الوطنية الحب والحماس والإخلاص ، ومن الأخلاق المبادىء والقيم التى تحكم العمل وتوجهه ، ومن العلم والخبرة الفكر والتخطيط والوسيلة والهدف . وليس من النادر أن تجد هذه الصفات مجتمعة فى أفراد كثيرين ، خاصة عند حُسن الاختيار والتنزه عن الغرض .

بل قد يتحقق التوفيق باثنتين منها ، ولكن لا أمل فى التوفيق بما هو أقل من ذلك . . إذْ ما فائدة الوطنية وحدها إذا حُرِمَ الإنسان من نعمتى الأخلاق والعلم ؟ وما جدوى الأخلاق وحدها دون أن تسندها الوطنية أو العلم ؟ وأى خير نرجوه من العلم إذا خلا ضمير الفرد من الوطنية والأخلاق ؟ .

هذا على حين أن المسئول إذا قل أو انعدم حظه من العلم والخبرة واستوفى نصيبه من الوطنية والأخلاق يمكنه أن يعوض نقصه بالشورى ، والاستعانة بالعلماء والخبراء .

بل إذا ضعف الانتماء الوطنى فى مستوى وبقى له العلم والأخلاق أمكن أن تدفعه الأخلاق إلى أداء واجبه ، وأسعفه العلم والخبرة بالرأى

والرؤية ، وهناك مسئولون انتهازيون لا ضمير ولا أخلاق لهم ، ولكن حتى هؤلاء إذا توافرت لهم الوطنية والعلم والخبرة فإنهم يفيدون ويقدمون خدمات لا يُستهان بها ، وإنْ خلا سلوكهم من النزاهة والأمانة ، ولكنهم يملئون مراكزهم حتى ينكشف انحرافهم ، ويتم التخلص منهم.

من أجل ذلك فإن اختيار الأكفاء أمر ذو أهمية مصيرية ، فقد يخلق نهضة أو يقود إلى نكسة وانهيار ، ومن أجل ذلك تفوقت الديمقراطية على جميع أنظمة الحُكم لوفرة فرص الاختيار فيها ، وقوة جهات المتابعة والمراقبة والمحاسبة والمناقشة .

٣ / ٦ / ١٩٩٤

مطالب الشباب

نحن نطالب الشباب بأن يكون عماد الحاضر وأمل المستقبل . إنَّ حظنا من الحضارة أمانة بين يديه ، والرجاء كل الرجاء أن يكون كُفْئًا لحَمْلِ الأمانة . غير أنه فى مقابل ذلك لا يجوز أن نتجاهل مطالبه ، فما هى مطالب الشباب ؟

يطلب الشباب أول ما يطلب تعليمًا يؤهله لعمل فى الحياة المعاصرة ، حرفة أو مهنة ، أو مجالاً لنشاط خلاَّق ، أو موهبة فريدة .

ويطلب تربية جديرة ببناء شخصيته من كافة النواحى الدينية والأخلاقية والقومية والإنسانية والفنية والرياضية ،ليحظى جسمه بالصحة ، وتتهيأ روحه لتلقى الحكمة والرشاد .

ويطلب بعد ذلك فُرَصَ عملٍ تتناسب مع ما أُعِدَّ له ليحقق ذاته ويخدم مجتمعه ، ويجب أن يكون راتبه كافيًا ، وسكنه متوافرًا ، وسبيله خاليًا من العقبات المُخيبة للرجاء ، والمهددة بالإحباط .

وهو يطالب بالأمن والاستقرار فى ظل سيادة القانون ، وأن يتساوى الجميع أمام القانون فى الحقوق والواجبات بلا تفرقة مفتعلة لأسباب اجتماعية أو سياسية أو دينية وغير ذلك ، فيكون الاجتهاد أساس النجاح ، والنجاح هو المقياس فى التعيين فى الوظائف أو الترقى

للمناصب الأعلى ، فيرجع إلى العمل قيمته ، وإلى الوطن انتماؤه ، فيشعر بأنه يعيش فى مجتمع حضارى لا فى مجرد تجمع من الأفراد يحكمهم العنف والظلم والأنانية .

هذه مبادىء أولية ، ويجىء بعدها رعاية العقول والمواهب ، والعناية بمراكز البحث العلمى . وتشجيع المتفوقين ، والإعلان عن إنجازاتهم ، مما يؤكد الثقة والحب والاحترام بينهم وبين مواطنيهم ، ويدفعهم إلى المزيد من الجد والتفوق .

٢١ / ٧ / ١٩٩٤

قيمة العمل

الإيمان بالعمل هو الذى يجعل منه قيمة اجتماعية وإنسانية رفيعة . هو الذى جعل العاملين من أبناء الأمم المتقدمة أمثلة عالية للمثابرة وغزارة العطاء . ويتكون الإيمان بالعمل بفضل عاملين هما : التربية للناشئين ، والمعاملة مع الناضجين . فالتربية تمدنا بخبرة المربين ، وذخائر التراث ، والقوة المؤثرة . أما المعاملة فهى تربط بين العمل والاجتهاد عند الاختيار وعند الترقى ولدى توزيع الحوافز .

ولقد تعرضت قيمة العمل فى بلادنا للآفات والعلل ، إذْ جرت السياسة طويلا على تعيين الخريجين ، بصرف النظر عن حاجة العمل إليهم ، ووزعت الحوافز والعلاوات بطريقة روتينية ، لا بناء على عطاء العامل وهمته ، واختارت للمراكز المرموقة والدرجات الممتازة المقربين ، مفضلة أهل الثقة على أهل الخبرة . وهكذا وجد الشباب أن مصيره يتقرر ومستقبله يتحدَّد لأسباب لا علاقة لها بالجد والاجتهاد والإنتاج الحقيقى، فأخذ إيمانه بالعمل يهِنُ ويتَلاشَى ، وثقته فى السعى والانتهازية تقوى وتشتد ، حتى تَفَشَّى المرض فى الطلاب منذ عهد البراءة ، فتركز الاهتمام بالشهادة وقَلَّ الاهتمام بتحصيل العلم ، ودخلنا

فى عصور سقيمة من الغش الجماعى والاعتداء على المراقبين . لم تعد هناك أهمية لغير الشهادة كجواز مرور إلى الوظيفة ، ولا حاجة إلى علم أو خبرة ، فالوسائل الصفراء الأخرى تتكفل بكل مأمول .

إن فقدان قيمة العمل يحوّل الفرد من عاملٍ إلى انتهازى ، ويهدر قوى الإنتاج ، ويوفر أسبابًا كثيرة للتعاسة .

يجب أن نعيد إلى العمل قيمته ، والطريق واضحة ، فالتربية الصالحة ممكنة ، والمعاملة التى تقيم اختيارها على أساس من الجد والاجتهاد وحُسن الأداء ليست مستحيلة ، وهى ضرورة لازمة للدخول فى العالم الجديد .

١٩٩٤ / ٧ / ٢٨

روح العمـــل

علينا أن نعمل بكل تصميم وجدية على إطلاق روح العمل لأقصى درجة ممكنة . يجب أن نوظف جميع قوانا الظاهرة والكامنة من أجل إثبات وجودنا فى العالم الجديد ، لا تردد ، ولا كسل ، ولا تهاون ، ونحن نملك الكثير من أسباب النجاح ، فلدينا التعليم والتربية ، ومراكز البحوث والتدريب ، وأهل العلم والخبرة . والعالم على استعداد لأن يمدنا بما ينقصنا من تكنولوجيا وخبرة . المطلوب منا أن نستغل هذه الثروة خير استغلال ، وأن نستخرج منها خير إمكانياتها ، وأن نجعل من الدين والعلم والوطنية قوى دافعة ومصابيح هادية .

وعلينا فى الوقت نفسه أن نستفيد من أخطاء الماضى التى كانت وبالاً على حُب العمل وتقديسه ، واحترام الجد والاجتهاد ، والتعلق الرشيد بالانتماء الوطنى . علينا أن نستفيد من الأخطاء التى أهدرت قيمة العمل والاجتهاد ، وأضعفت الانتماء إلى الوطن .

من أجل ذلك فلابد أن نحقق ما يأتى :

أولاً : المساواة أمام القانون فى الحقوق والواجبات ، والقضاء على أى استثناء فى ذلك المجال ، وإنزال العقاب الشديد بمن يرتكب ذلك الجرم الوطنى .

ثانيًا : تكافؤ الفرص ، وأن يُجْزَى الفرد بمقدار كفاءته واجتهاده وخُلُقه .

ثالثًا : ربط التعيينات والترقيات والمكافآت والجوائز والحوافز بالإنتاج أولاً وأخيرًا .

رابعًا : أن نعتمد فى إدارتنا وإنتاجنا على مراكز البحوث والتدريب ، والاستفادة المتجددة من عصر المعلومات .

وفى كلمة : علينا أن نقيم مجتمعنا على العلم والعدل والحرية ، وأن نستمد من تراثنا جميع ما يؤيد ذلك ويقويه ويرشده .

١٩٩٤ / ٨ / ١١

قيمة الانتماء

سمعتُ وقرأت كثيرًا عن ضعف الانتماء لدى أجيالٍ من الشباب ، وبرغم ذلك فقد انزعجت جدًّا حين تحدانى شاب قائلاً : أنا لا أجد معنى فى دعوتك إلى الانتماء الوطنى . . لماذا أنتمى إلى الوطن ؟ أى خير يعدنى به الوطن كى أنتمى إليه ؟ فليس مَنْ شَهِدَ كمن سمع ، وأنى من جيل يعتبر الانتماء إلى الوطن فطرة وغريزة فعلاً ، يهون عليه أن يجده موضع نقاش أو سخرية . ترى ما الذى أفسد هذه الفطرة لدى البعض؟ . أيكون للأيديولوجيات ـ كالقومية العربية واليسارية مثلا ـ أثر فى ذلك ؟ ربما لا تخلو من أثر ، ولكنها لاتمحو من القلوب حب الوطن الأصلى أبدًا ، وإذَنْ فلا بد من مزيد من البحث عن العلل .

ليس السبب هو أنَّ الناس ينقسمون إلى أغنياء وفقراء ، وأصحاء ومرضى ، متعلمين وأميين ، ولا حتى بين عاملين وعاطلين ، فقد يوجد ذلك كله ويتفهم الناس أسبابه وينشطون لمقاومته بدون أن يتلاشى من القلوب حبهم الطبيعى لوطنهم ، ولكن الأمر يختلف إذا شعر الشباب بأن الوطن لا يوزع الحب والرعاية لجميع أبنائه بالمساواة والعدل ، ربما لا يساوى بينهم فى المال ولا فى مزايا طبيعية كثيرة ، ولكنه يُساوِى بينهم أمام القانون ويطبق عليهم معاملة واحدة ويهيىء لهم فرصاً واحدة ، إذا شعر الشاب بهذه العدالة فقد يصبر على سوء حظه إلى حين ، وقد ينتظر

فرصته بدون كفر أو حقد ، وأما إذا اختل ميزان العدل الذى هو أساس المُلْك فسوف يُصادفك من يقول لك : أى خير يعدنى به الوطن حتى أنتمى إليه ؟

ونحن فى كل خطوة نفتقد هذا العدل : نفتقده فى الطريق ، فى المصالح الحكومية ، فى المستشفيات ، فى الاختيار للوظائف ، فى شَغْل الوظائف الأعلى ، فى كل شىء توجد التفرقة ، حتى قتلنا قيمة الانتماء ، كما قتلنا قيمة العمل ، وبغير هاتين القيمتين لا يكون مجتمع ، ولكن تَجَمُّع من الانتهازيين والفهلويين واليائسين .

يجب أن نعيد القيمة إلى العمل والانتماء ، ولن يتطلب ذلك منا إلاَّ سيادة القانون وتقديسه وتطبيقه بالعدل المطْلق ، واعتبار الإخلال بذلك جريمة اجتماعية كبرى يُعاقب عليها بالسجن المؤبد .

٢٩ /٩ / ١٩٩٤

دفاع كونى

من أعجب ما اطلعت عليه ما نُشر عن إعداد خطة للدفاع عن كوكب الأرض ضد الأخطار الكونية التى تهدده . هناك على سبيل المثال المُذَنَّب « هالى » الذى يقترب من الأرض كل ٧٦ سنة فى دورته ، ويثير المخاوف من احتمال اصطدامه بالأرض ، وعواقب ذلك الوخيمة على الأرض والأحياء . . وهناك النيازك التى تسير نحونا بسرعة يتعذر معها رؤيتها ، ولكنها تحترق وتتلاشى عند الغلاف الجوى للأرض . . ولهذه النيازك آثار مروعة اكتشفت فوق سطح القمر ، ويمكن أن يقع مثلها فوق سطح الأرض .

هذا يعنى أن كوكبنا يسبح فى الفضاء وسط أخطار كثيرة تحدق به ، كما تحدق بالحياة التى تزدهر فوقه . والإنسان الذى اعتاد التعامل مع العلم وتطبيقاته لا يقف مكتوف الأيدى أمام تلك الأخطار . وهو ينشط لوضع خطة شاملة للدفاع عن الأرض ، خطة يشترك فى وضعها أمم متقدمة مثل الولايات المتحدة ، وأوربا ، وروسيا ، واليابان ، تشمل بناء محطات فضاء للرقابة والإنذار المبكر ، كما تحوى تفكيرًا فى تفجير الأجسام الحاملة للخطر أو تغيير اتجاهها ، وذلك بالاستعانة بالتفجيرات النووية .

تلك روح علمية وثَّابة تستحق التحية والإكبار ، وتضاعف من آمال البشرية فى العلم وخدماته ، وكل ما نتمناه إضافة إلى ذلك أن ينشط الإنسان بنفس القوة لدفع أذَى الإنسان عن الإنسان فوق الأرض نفسها ، حتى يصدق علينا القول : ارحموا مَنْ فى الأرض يرحمكم من فى السماء .

٦ / ١٠ / ١٩٩٤

أعمال الكاتب

أعماله بالعربية :

ـ الروايـــة :

١ ـ عبث الأقدار ١٩٣٩ .
٢ ـ رادوبيس ١٩٤٣ .
٣ ـ كفاح طيبة ١٩٤٤ .
٤ ـ القاهرة الجديدة ١٩٤٥ .
٥ ـ خان الخليلى ١٩٤٦ .
٦ ـ زقاق المدق ١٩٤٧ .
٧ ـ السراب ١٩٤٨ .
٨ ـ بداية ونهاية ١٩٤٩ .
٩ ـ بين القصرين ١٩٥٦ .
١٠ ـ قصر الشوق ١٩٥٧ .
١١ ـ السكرية ١٩٥٧ .
١٢ ـ أولاد حارتنا ١٩٦٠ .

١٣ ـ اللص والكلاب ١٩٦١ .
١٤ ـ السمان والخريف ١٩٦٢ .
١٥ ـ الطريق ١٩٦٤ .
١٦ ـ الشحاذ ١٩٦٥ .
١٧ ـ ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦ .
١٨ ـ ميرامار ١٩٦٧ .
١٩ ـ المرايا ١٩٧٢ .
٢٠ ـ الحب تحت المطر ١٩٧٣ .
٢١ ـ الكرنك ١٩٧٤ .
٢٢ ـ حكايات حارتنا ١٩٧٥ .
٢٣ ـ قلب الليل ١٩٧٥ .
٢٤ ـ حضرة المحترم ١٩٧٥ .
٢٥ ـ ملحمة الحرافيش ١٩٧٧ .
٢٦ ـ عصر الحب ١٩٨٠ .
٢٧ ـ أفراح القبة ١٩٨١ .
٢٨ ـ ليالى ألف ليلة ١٩٨٢ .
٢٩ ـ الباقى من الزمن ساعة ١٩٨٢ .
٣٠ ـ رحلة ابن فطوطة ١٩٨٣ .

٣١ ـ العائش فى الحقيقة ١٩٨٥ .

٣٢ ـ يوم قتل الزعيم ١٩٨٥ .

٣٣ ـ حديث الصباح والمساء ١٩٨٧ .

٣٤ ـ قشتمر ١٩٨٨ .

القصص القصيرة :

٣٥ ـ همس الجنون ١٩٣٨ .

٣٦ ـ دنيا الله ١٩٦٣ .

٣٧ ـ بيت سيئ السمعة ١٩٦٥ .

٣٨ ـ خمارة القط الأسود ١٩٦٩ .

٣٩ ـ تحت المظلة ١٩٦٩ .

٤٠ ـ حكاية بلا بداية ولا نهاية ١٩٧١ .

٤١ ـ شهر العسل ١٩٧١ .

٤٢ ـ الجريمة ١٩٧٣ .

٤٣ ـ الحب فوق هضبة الهرم ١٩٧٩ .

٤٤ ـ الشيطان يعظ ١٩٧٩ .

٤٥ ـ رأيت فيما يرى النائم ١٩٨٢ .

٤٦ ـ التنظيم السرى ١٩٨٤ .

٤٧ ـ صباح الورد ١٩٨٧ .

٤٨ ـ الفجر الكاذب ١٩٨٩ .

٤٩ ـ القرار الأخير

الترجمات والحوارات :

٥٠ ـ مصر القديمة ١٩٣٢ .

٥١ ـ أمام العرش ١٩٨٣ .

(سيرة ذاتية) :

كتب للأطفال

٥٢ ـ أصداء السيرة الذاتية ١٩٩٥ .

٥٣ ـ عجائب الأقدار

المقالات :

٥٤ ـ حول الدين والديمقراطية .

٥٥ ـ حول الشباب والحرية .

٥٦ ـ حول الثقافة والتعليم .

٥٧ ـ حول التدين والتطرف .

٥٨ ـ حول العدل والعدالة .

٥٩ ـ حول التحرر والتقدم .

٦٠ ـ حول العلم والعمل .

٦١ ـ حول العرب والعروبة .

* وتنوى الدار المصرية اللبنانية ـ بإذن الله ـ مواصلة نشر مقالاته التى كان قد بدأها عام ١٩٣٤ ونُشرت فى المجلات والصحف المختلفة داخل وخارج مصر .

المسرحيات :

سبع مسرحيات من ذات الفصل الواحد ، خمس منها فى مجموعة «تحت المظلة » وهى :

٦٢ ـ يميت ويُحْيى .

٦٣ ـ التركة .

٦٤ ـ النجاة .

٦٥ ـ مشروع للمناقشة .

٦٦ ـ المهمة .

ومسرحيتان فى مجموعة « الشيطان يعظ » هما :

٦٧ ـ الجبل .

٦٨ ـ الشيطان يعظ .

* أعد مصطفى بهجت مصطفى المسرحيات الثلاث الأولى وحوّلها إلى العامية ، وأخرجها أحمد عبد الحليم على مسرح الجيب عام ١٩٦٩ بعنوان « تحت المظلة » .

الروايات والقصص التى أعدت للمسرح :

١ ـ زقاق المدق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٥٨ .

٢ ـ بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الرحيم الزرقانى ١٩٦٠ .

بداية ونهاية : إعداد أحمد عبد المعطى ، إخراج فتحى الحكيم ١٩٧٦ .

بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الغفار عودة ١٩٨٦ .

٣ ـ بين القصرين : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج صلاح منصور ١٩٦٠ .

٤ ـ قصر الشوق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٦١ .

٥ ـ اللص والكلاب : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج حمدى غيث ١٩٦٢ .

٦ ـ الجوع : إعداد فايز حلاوة وإخراجه (قهوة التوتة) ١٩٦٢ .

٧ ـ خان الخليلى : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٨٦٣ .

٨ ـ روض الفرج : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٤ .

٩ـ ميرامار : إعداد نجيب سرور وإخراجه ١٩٦٩ .

١٠ ـ القاهرة ٨٠ : إعداد سمير العصفورى وإخراجه ١٩٨٩ .

١١ ـ حارة العشاق إعداد أحمد عبد المعطى، وإخراج أحمد هانى ١٩٨٩.

السيناريوهات :

١ ـ المنتقم : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٧ .

٢ ـ عنتر وعبلة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٨ .

٣ ـ لك يوم يا ظالم : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إميل زولا «تريز راكان» ١٩٥١ .

٤ ـ ريا وسكينة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٣ .

٥ـ الوحش : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٤ .

٦ـ جعلونى مجرماً : إخراج عاطف سالم ١٩٥٤ .

٧ ـ فتوات الحسينية : إخراج نيازى مصطفى ١٩٥٤ .

٨ ـ شباب امرأة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة أمين يوسف غراب ١٩٥٥ .

٩ ـ درب المهابيل : إخراج توفيق صالح ١٩٥٥ .

١٠ ـ النمرود : إخراج عاطف سالم ١٩٥٦ .

١١ ـ الفتوة : إخراج صلاح أبوسيف ١٩٥٧ .

١٢ ـ الطريق المسدود : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٨ .

١٣ ـ الهاربة : إخراج حسن رمزى ١٩٥٨ .

١٤ ـ أنا حرة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٩ .

١٥ ـ إحنا التلامذة : إخراج عاطف سالم ١٩٥٩ .

١٦ ـ بين السماء والأرض : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٩ .

١٧ ـ جميلة : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٥٩.

١٨ ـ الناصر صلاح الدين : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٦٣ .

١٩ ـ ثمن الحرية : إخراج نور الدمرداش ١٩٦٥ .

٢٠ ـ الاختيار : إخراج يوسف شاهين ١٩٧١ .

٢١ ـ دلال المصرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧١ .

٢٢ ـ ذات الوجهين : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

٢٤ ـ المجرم : إخراج صلاح أبو سيف (لك يوم يا ظالم) ١٩٧٨ .

٢٥ ـ وكالة البلح : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٣ .

الروايات والقصص التى أعدت للسينما :

١ ـ بداية ونهاية : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٠ .

٢ ـ زقاق المدق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٣ .

٣ ـ اللص والكلاب : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣ .

٤ ـ بين القصرين : إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ .

٥ـ الطريق : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٤ .

٦ ـ خان الخليلى : إخراج عاطف سالم ١٩٦٦ .

٧ ـ القاهرة ٣٠ : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٦ .

٨ ـ قصر الشوق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٧ .

٩ ـ السمان والخريف : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٨ .

١٠ ـ ميرامار : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٩ .

١١ ـ السراب : إخراج أنور الشناوى ١٩٧٠ .

١٢ ـ ثرثرة فوق النيل : إخراج حسين كمال ١٩٧١ .

١٣ ـ صور ممنوعة : إخراج مدكور ثابت ، (من خمارة القط الأسود) ١٩٧٢ .

١٤ ـ السكرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧٣ .

١٥ ـ الشحات : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

١٦ ـ أميرة حبى أنا : إخراج حسن الإمام ، (من المرايا) ١٩٧٤ .

١٧ ـ الكرنك : إخراج على بدرخان ١٩٧٥ .

١٨ ـ الحب تحت المطر : إخراج حسين كمال ١٩٧٥ .

١٩ ـ الشريدة : إخراج أشرف فهمى ، (من همس الجنون) ١٩٨٠ .

٢٠ ـ فتوات بولاق : إخراج يحيى العلمى ، (من حكايات حارتنا) ١٩٨١ .

المقاهى .. فى حياته :

١ ـ مقهى عرابى بالعباسية .

٢ ـ مقهى قشتمر بشارع الجيش .

٣ ـ مقهى الفيشاوى بالحسين .

٤ ـ مقهى زقاق المدق .

٥ ـ مقهى الفردوس .

٦ ـ مقهى ركسى .

٧ ـ مقهى لونابارك .

٨ ـ مقهى أحمد عبده بالحسين .

٩ ـ مقهى على بابا بالتحرير .

١٠ ـ مقهى ريش بالتحرير .

١١ ـ كازينو قصر النيل .

١٢ ـ كازينو كليوباترا .

١٣ ـ مقهى ديليسبس بالإسكندرية .

١٤ ـ كازينو بترو بسيدى بشر .

١٥ ـ كازينو ميرامار بالإسكندرية .

١٦ ـ كازينو سان استيفانو .

كتبه .. مترجمة إلى اللغات الأخرى

١ ـ همس الجنون	ق . المنصور	بيروت	١٩٦٠ .
٢ ـ الزعبلاوى	صفية ربيع	جامعة القاهرة	١٩٦٢ .
٣ ـ دنيا الله	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٦٤ .
٤ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	جامعة ميتشجان	١٩٦٦ .
٥ ـ الزعبلاوى	نسيم رجوان	دورية بريطانية	١٩٦٧ .
٦ ـ الزعبلاوى	دنس جونسون	جامعة أكسفورد	١٩٦٧ .
٧ ـ قصص قصيرة	محمود المنزلاوى	جامعة الإسكندرية	١٩٦٨ .
٨ ـ دنيا الله	محمود المنزلاوى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٨ .
٩ ـ دنيا الله	روجر السن	دار أمريكية	١٩٧٣ .
١٠ ـ القصص القصيرة	جوزيف أولين	جامعة بيروت	١٩٧٣ .
١١ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	لندن	١٩٧٥ .
١٢ ـ تحت المظلة	دينيس جونسون	لندن	١٩٧٦ .
١٣ ـ المرايا	روجر السن	دار أمريكية	١٩٧٧ .
١٤ ـ خمارة القط الأسود	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٧ .
١٥ ـ ميرامار	فاطمة مرسى	لندن	١٩٧٨ .

١٦ ـ اللص والكلاب	تريفور لوجاسيك	الجامعة الأمريكية	١٩٨٤ .
١٧ ـ أفراح القبة	أوليف كينسى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٤ .
١٨ ـ السمان والخريف	روجر السن	الجامعة الأمريكية	١٩٨٥ .
١٩ ـ بداية ونهاية	رمسيس عوض	الجامعة الأمريكية	١٩٨٥ .
٢٠ ـ الشحات	كريستين وكرهنرى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٦ .
٢١ ـ حضرة المحترم	رشيد العنانى	لندن ونيويورك	١٩٨٦ .
٢٢ ـ حضرة المحترم	رشيد العنانى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٧ .
٢٣ ـ الطريق	محمد إسلام	الجامعة الأمريكية	١٩٨٧ .
٢٤ ـ اللص والكلاب	عادل إلياس	جدة	١٩٨٧ .
٢٥ ـ حكايات حارتنا	سعاد صبحى	واشنطن	١٩٨٨ .

كتب عربية .. عن حياته وأعماله

١ ـ قضيته الشكل الفنى	د . نبيل راغب	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٦٧ .
٢ ـ المنتمى	د . غالى شكرى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٧ .
٣ ـ تأملات فى عالم محفوظ	محمود أمين العالم	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٠ .
٤ ـ مع نجيب محفوظ	أحمد محمد عطية	دمشق	١٩٧١ .
٥ ـ الإسلامية فى أدب محفوظ	د . محمد حسن عبدالله	الكويت	١٩٧٢ .
٦ ـ الله فى رحلة محفوظ	جورج طرابيشى	بيروت	١٩٧٣ .
٧ ـ قراءة الرواية فى عالم محفوظ	د . محمود الربيعى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٤ .
٨ ـ دراسة فى أدب محفوظ	د . رجاء عيد		١٩٧٤ .
٩ ـ محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٧٥ .
١٠ ـ الرؤية والأداة	د . عبد المحسن طه بدر	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٨ .
١١ ـ العالم الروائى عند محفوظ	إبراهيم فتحى	دار الفكر المعاصر (القاهرة)	١٩٧٨ .
١٢ ـ نجيب محفوظ	د . على شلش	بيروت	١٩٧٩ .
١٣ ـ الروائيون الثلاثة	يوسف الشارونى	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٠ .
١٤ ـ ثلاثية نجيب محفوظ	جاك جومييه	بيروت	١٩٨٠ .
١٥ ـ الرمزية فى أدب محفوظ	د . فاطمة الزهراء سعيد	بيروت	١٩٨١ .
١٦ ـ دنيا نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٢ .
١٧ ـ قصة الأجيال	د . ناجى نجيب	المكتبة الثقافية (القاهرة)	١٩٨٢ .
١٨ ـ أدب نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	عكا	١٩٨٢ .
١٩ ـ بناء الرواية	د سيزا قاسم	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٤ .
٢٠ ـ محفوظ حياته وأعماله	نبيل فرج	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٦ .
٢١ ـ محفوظ يتذكر	جمال الغيطانى	أخبار اليوم (القاهرة)	١٩٨٧ .
٢٢ ـ الفن القصصى	يوسف نوفل	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٨ .
٢٣ ـ عالم نجيب محفوظ	د . رشيد العنانى	الهلال (القاهرة)	١٩٨٨ .

كتب .. تضمنت فصولاً عنه

لطه حسين ـ عباس خضر ـ فؤاد دوارة ـ على الراعى ـ جلال العشرى ـ رشاد رشدى ـ يوسف الشارونى ـ غالى شكرى ـ صلاح عبد الصبور ـ لويس عوض ـ شكرى عياد ـ سيد قطب ـ أنور المعداوى ـ محمد مندور ـ فاروق منيب ـ رجاء النقاش ـ حسن البندارى ـ فتحى العشرى .

كتب أجنبية ..عن أعماله

١ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	بيروت	١٩٦٦ .
٢ ـ عالم محفوظ	عادل إلياس	الأنجلو (القاهرة)	١٩٧٢ .
٣ ـ دنيا محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٧٢ .
٤ ـ المرايا	روجر السن	أمريكا	١٩٧٢ .
٥ ـ روايات محفوظ	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٣ .
٦ ـ الرواية المصرية	هيلارى كيلبا تريك	لندن	١٩٧٤ .
٧ ـ الكرنك	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٩ .
٨ ـ حكايات حارتنا	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٠ .
٩ ـ أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	لندن	١٩٨١ .
١٠ ـ الرواية المصرية	على جاد	لندن	١٩٨٣ .
١١ ـ أعمال محفوظ	بيليد ماتيناهو	نيوجرسى	١٩٨٣ .

دراسات أجنبية .. عن أعماله

١ ـ دنيا الله	روجر ألسن	دورية أمريكية	١٩٦٤ .
٢ ـ الروايات والقصص	مناحم ميسون	هولندا	١٩٧٠ .
٣ ـ الزعبلاوى	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٠ .
٤ ـ أولاد حارتنا	فاتيكيوتس	بريطانيا	١٩٧١ .
٥ ـ المرايا	روجر ألسن	دورية أمريكية	١٩٧٢ .
٦ ـ المرايا	روجر ألسن	دورية أمريكية	١٩٧٣ .
٧ ـ نجيب محفوظ	منى نجيب ميخائيل	هولندا	١٩٧٤ .
٨ ـ الأدب العربى	ر. س. أوستيل	لندن	١٩٧٥ .
٩ ـ الرواية المصرية	صبرى حافظ	هولندا	١٩٧٦ .
١٠ ـ بين القصرين	حسن الشامى	أميريكا	١٩٧٦ .
١١ ـ زقاق المدق	فاطمة موسى	لندن	١٩٧٦ .
١٢ ـ النساء عند محفوظ	اكسيفير فرانسيس	هولندا	١٩٧٧ .
١٣ ـ الكرنك	تريفور لوجاسيك	واشنطن	١٩٧٧ .
١٤ ـ المجتمع الإسلامى	جابر ابيل مائير	هولندا	١٩٨٤ .
١٥ ـ أولاد حارتنا	جرير أبو حيدر	هولندا	١٩٨٥ .

رسائل جامعية .. عنه

١ ـ ماجستير	أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	أكسفورد	١٩٦٣ .
٢ ـ دكتوراه	الأعمال الأدبية	بيليد ماتينياهو	كاليفورنيا	١٩٧١ .
٣ ـ دكتوراه	الروايات	اكسفيرفرانسيس	كولومبيا	١٩٧٢ .
٤ ـ دكتوراه	أدبه	منى نجيب ميخائيل	متشجان	١٩٧٢ .
٥ ـ دكتوراه	الرواية المصرية	علي جاد	أكسفورد	١٩٧٤ .
٦ ـ دكتوراه	الأدب العربي	ر . س . أوستيل	لندن	١٩٧٥ .
٧ ـ دكتوراه	اللص والكلاب	عادل إلياس	أوكلاهوما	١٩٧٩ .
٨ ـ دكتوراه	التجديد والتقليد	عبد الوهاب الحاكمي	آلستر	١٩٧٩ .
٩ ـ دكتوراه	أهل القاهرة	سمير مصطفى	ألينويز	١٩٨٠ .
١٠ ـ دكتوراه	الواقعية	عدنان الوزان	أدنبرة	١٩٨١ .
١١ ـ دكتوراه	الموت	أحمد الروبي	متشجان	١٩٨٢ .
١٢ ـ دكتوراه	أدبـه	محمد محمود	أكسفورد	١٩٨٢ .
١٣ ـ ماجستير	السلطة	ريتشارد كينيث	أريزونا	١٩٨٤ .
١٤ ـ دكتوراه	الروايات التاريخية	حسين يوسف حسين	أدنبرة	١٩٨٤ .
١٥ ـ دكتوراه	دراسة مقارنة	أ . البسام	آلستر	١٩٨٤ .
١٦ ـ دكتوراه	حضرة المحترم	رشيد الغساني	آلستر	١٩٨٤ .
١٧ ـ دكتوراه	العبثية	منى شفيق فايد	ألينويز	١٩٨٤ .
١٨ ـ دكتوراه	بين القصرين	سعاد فطيم	آلستر	١٩٨٧ .
١٩ ـ ماجستير	زقاق المدق	سميحة صليب	كونيتيكيت	١٩٨٨ .

محتويات الكتاب